سلسلة المفهومات القرآنية

النبوة والرسالة

د. عبد الرحمن حللي







النبوة والرسالة

سلسلة المفهومات القرآنية


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة المفهومات القرآنية

النبوة والرسالة

د. عبد الرحمن حللي





التّصنيف والرّقم الموضوعيّ: دراسات قرآنيّة (211,9)

العنوان: المفهومات القرآنيّة (الدّين والملّة والشّرعة والحنيفيّة)

التأليف: د. عبد الرحمن حللي

عدد الصفحات: 80 – قياس: 14×20

التّرقيم الدوليّ: ISBN: 978-9933-9050-8-8

الطّبعة الأولى

1432 هـ / 2011 م



سورية ـــ حلب

هاتف: 2214967 / 96321+ – تلفاكس: 2289341 / 96321+

E-mail:info@dar-almultaka.net



سورية ـــ دمشق

هاتف: 2245145 /96311+ – تلفاكس: 2245840 /96311+

ص.ب: 11881

E-mail: arriyadah@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله القائل ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾[الزخرف:٦]، والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ خاتم النبيين، خاطبه ربه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥]، وبعد:

يعتبر مفهوما النبوة والرسالة من المفاهيم المفتاحية والمحورية لأي دراسة قرآنية تتناول قضاياهما، وقد كثر الحديث عنهما في مختلف العلوم، ففضلاً عن الجانب اللغوي زخرت كتب علم الكلام والفلسفة والتصوف ومقارنة الأديان بالحديث عن النبوة والرسالة وحقيقتهما والفرق بينهما والقضايا المتعلقة بهما، ولهذا الاشتغال بالمفردتين دلالته على محوريتهما في الفكر الديني والفلسفي، وقد لوحظ في تناولهما كثرة الجدل والتوظيف لهما مع قلة الاعتماد على النص في ضبط دلالتها[(١)]،

---

(١) مثلاً: ينطلق محمد شحرور في كتابه:(الكتاب والقرآن /قراءة معاصرة ص:٥٤، ط:٥ مكتبة الأهالي-دمشق ١٩٩٢)، من تصور مسبق يحصر النبوة في المواضيع التي تحتوي على المعلومات الكونية التاريخية (الحق والباطل)، والرسالة في المعلومات التي يجب على الإنسان التقيد بها (عبادات+ أخلاق=حلال وحرام) ويبني على هذا التصور الذي لم يقدم مبرراته أو دراسة عنه تقسيماً للقرآن إلى كتاب نبوة وكتاب رسالة، ويؤسس على هذا التقسيم قراءته المعاصرة، وغياب المبرر العلمي لهذا التحديد يغني عن المناقشة.

وتأتي دراستهما بنيوياً من خلال النص القرآني – في سياق ما ندرسه من مفهومات قرآنية –، وهي دراسة لا تستغني عن تحديد المعنى اللغوي، ونزيد هنا الاستخدام التاريخي للمفهومين في مدونات علم الكلام والأديان، والفرق بينهما، ومن ثم استقراء وردهما في القرآن لاستكناه دلالتهما، وعليه سنعتمد في دراستنا الخطوات التالية:

- النبوة والرسالة في اللغة.
- النبوة والرسالة في اصطلاح علم الكلام.
- النبوة والرسالة في نصوص أهل الكتاب.
- النبوة والرسالة في القرآن الكريم.

أولاً- النبوة والرسالة في اللغة :

النبوة:

تُرجع المصادر اللغوية لفظ (النبي) إلى أحد احتمالين من حيث الاشتقاق اللغوي:

الأول: أنه من النَّبَأ وهو الخبر، ويختص الخبر المعبر عنه بالنبأ بأن تكون له فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ومن حقه أن يتعرى عن الكذب، يقال نَبَأ ونَبَّأ وأنبأ، والنبي المخبر عن الله، ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه[1].

---

(١)انظر: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**:٧٨٨-٧٨٩، ت: صفوان عدنان داوودي، ط:٣ دار القلم - دمشق ٢٠٠٢، ابن منظور، **لسان العرب**:١/١٦٢ وما بعدها، و ١٥/٣٠٢ ، ط:١ دار صادر - بيروت، الطاهر أحمد الزاوي، **ترتيب القاموس المحيط**:٤/٣٠٨ ط:٣ الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز**:٥/١٤ ت: عبد العليم الطحاوي ط: المكتبة العلمية -بيروت، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، **الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**:٤/٣٥٢ ت: عدنان درويش - محمد المصري، ط: ٢ دار الكتاب الإسلامي- القاهرة ١٩٩٢، يشار إلى أن هناك خلافاً في همز (النبي) بين أن تكون ساقطة أو مبدلة ياء أو متروكة أو مخففة أو مدغمة، أو أن الاختلاف يرجع إلى أصل الاشتقاق من النبأ فيكون مهموزاً أو الاشتقاق الثاني (الآتي ذكره) فيكون بغير همز، أو أن الاستعمال حصر الهمز بالنبي الكاذب، انظر إضافة للمراجع سابقة الذكر: القاضي عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**:٥٦٧، ت: عبد

قال تعالى:﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر:٤٩]، وعلى هذا تكون صيغة النبي فعيل بمعنى فاعل، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم:٣] وعلى هذا النبي فعيل بمعنى مفعول.

والآية الثانية تدل على أن نَبَّأَ أبلغ من أنبأ، فاستخدم الأبلغ في القرآن تنبيهاً على تحقيقه وكونه من عند الله، وسمي النبي نبياً لكونه منبئاً بما تسكن إليه العقول[1].

الثاني:أن لفظ النبي مشتق من النَبوة (كالرحمة) أو النَباوة أي الرفعة والارتفاع عن الأرض.

ويطلق النبي على الطريق الواضح والعَلَم من أعلام الأرض يهتدى بها[2]، وقد سمي النبي نبياً لعلو شأنه ورفعة محله المدلول عليها بقوله

الكريم عثمان ط:١ مكتبة وهبة– القاهرة ١٩٦٥، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد:١٤/١٥ إشراف:طه حسين، ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة ومطبعة عيس البابي الحلبي ١٩٦٥.

(١) انظر:الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: ١٤/٥-١٥، الأصفهاني، المفردات:٧٨٩ .

(٢) انظر:ابن منظور، لسان العرب:١/١٦٣-١٦٤، ١٥/٣٠٢-٣٠٣، الطاهر الزاوي، ترتيب القاموس المحيط:٤/٣٠٨، الكفوي، الكليات:٤/٣٥٢، القاضي عبد الجبار، المغني:١٥/١٤، شرح الأصول الخمسة:٥٦٧.

تعالى:﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [المائدة:٥٧] ولأنه يهتدى به[١]، أو لأنه وسيلة إلى الله أخذاً من أن النبي يعني الطريق[٢].

وبناء على اشتقاق النبي من النبوة بمعنى الرفعة فلا مورد للهمز فيها، وقد رُجح هذا الاشتقاق باعتباره أبلغ لأنه ليس كل مُنَبَّأ رفيع القدر والمحل[٣]، على أن النبوة بهذا المعنى لا يقع فيها تخصيص من جهة اللغة لأنها تستعمل في كل رفعة، وقد صارت في الشريعة والتعارف مستعملة في رفعة مخصوصة[٤].

---

(١) انظر: ابن منظور، م.س، الأصفهاني، م.س:٧٩٠، عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، أصول الدين: ١٥٤ ط:١ مطبعة الدولة – استنبول ١٩٢٨، عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام:٣٣٧ ط: عالم الكتب – بيروت .

(٢) انظر: سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد:٥/٥ ت: عبد الرحمن عميرة، ط: ١ عالم الكتب –بيروت ١٩٨٩، الإيجي، م.س، ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٤/١٠٠ ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري – السيد عبد العال السيد إبراهيم ط:١ قطر ١٩٨٤، وقد ظهر ربط معنى النبي بالطريق في كتب علم الكلام بدءاً من القرن السابع الهجري، ويعزو علي مبروك ذلك إلى تأثير صوفي هائل لم يتمكن علماء الكلام من مدافعته فحاولوا استدماج مفاهيمه في البناء الكلامي (انظر: علي مبروك، النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ:٢٩ ط:١ دار التنوير– بيروت ١٩٩٣).

(٣) انظر: الأصفهاني، م.س:٧٩٠ .

(٤) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني : ١٥/١٤ .

الرسالة:

الرسالة في اللغة تحميل جملة من الكلام إلى المقصود بالدلالة لما أن كل رسالة بين الخلق هي الوساطة بين المرسل والمرسل إليه في إيصال الأخبار، والرسول معبر وسفير فكلامه كلام المرسل[1]، والإرسال التوجيه، والاسم:الرِّسالة والرَّسالة والرسول، والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر، والرسول: المُرسِلُ فعولاً وفَعيلاً يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع ومنه: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه:٤٩]، وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أي ذو رسالة، والرسول اسم من أرسلت وكذلك اسم الرسالة فهو مشترك بينهما[2].

والإرسال يقابل الإمساك ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾[فاطر:٢]، والرَّسَل من الإبل والغنم ما يسترسل في السير، وسير رُسْلٌ:سهل، والتَّرسّل كالرَّسل

---

(١) انظر: الكفوي، **الكليات**:٢/٣٨٥ .

(٢) انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**:٧/٢٤٠-٢٤١ ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ط: دار ومكتبة الهلال، ابن منظور، م.س: ١١/٢٨٣-٢٨٤، الطاهر الزاوي، **ترتيب القاموس المحيط**:٢/٣٣٨، الأصفهاني، **المفردات**:٣٥٢-٣٥٣، الكفوي، م.س:٣٨٦، محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**:١٠٢ ت: محمود خاطر ط: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت١٩٩٥، المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**:٣٦٣، ت: رضوان الداية ، ط:١ دار الفكر-دمشق ١٤١٠هـ.

يقال:تَرسَّل الرجل في كلامه ومشيه إذا لم يعجل، ومنه الترسل في الأذان، والرِّسل والرِّسلة:الرفقة والتؤدة، والترسل من الرِّسل في الأمور والمنطق كالتمهل والتثبت، ويقال جاءوا أرسالاً أي متتابعين، والرِّسل من اللبن الكثير المتتابع، ومنه الرسول في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، وسمي به النبي المرسل لتتابع الوحي إليه، وأصل الرِّسل:الانبعاث على تؤدة، ويقال إبل مراسيل:منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرسول المنبعث[(١)]، والرسول من الألفاظ المتعدية أي لا بد أن يكون هناك مرسل ومرسل إليه[(٢)]، ويعتبر هذا الوصف (الرسالة) بمجرد الإرسال الواقع من المرسل[(٣)].

خلاصة المعنى اللغوي:

لقد بدت معاني لفظي النبوة والرسالة اللغوية كما عرضناها من خلال المعاجم غير منتظمة ومتداخلة ولا يتضح فيها التطور التاريخي، كما كانت محتضنة للمعنى الاصطلاحي والاستخدام القرآني، أما الاستخدام الجاهلي لهما قبل الإسلام، فلم يُلحظ لورود كلمة نبي في الشعر معنى اصطلاحياً خاصاً، فالمرات القليلة التي وردت لكلمة نبي

---

(١) انظر:ابن منظور، م.س، الأصفهاني، م.س ، الكفوي، م.س، البغدادي، أصول الدين:١٥٤ .

(٢) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة:٥٦٧ .

(٣) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني: ٩/١٥ .

كانت بعض الصور الاشتقاقية من مادتها اللغوية، ولم يكن مفهومها قريباً من المعنى الاصطلاحي إنما يتناول معاني مستمدة من الحياة الجاهلية تتصل بالمعنى اللغوي[1]، كما أن لفظ الرسول لم يعرف في الشعر الجاهلي بالمعنى الاصطلاحي القرآني[2].

لكن ما يقتضي أن ننبه إليه أن عدم استخدام لفظي النبوة والرسالة قبل الإسلام بمعناهما الاصطلاحي لا يعني عدم وجود فكرة لدى الجاهليين عن الأنبياء والرسل وخصائصهم فقد كانت فكرة التنبؤ والصلة بالغيب منتشرة بينهم ولها وظائف أخرى مختلفة عما جاء في القرآن، وكانوا يستخدمون لذلك ألفاظاً أخرى كالكهانة والسحر والعرافة... ولم يكن ذلك بمعزل عن رؤيتهم للصلة مع عالم الجن[3]، كما كانوا على بعض العلم بالأنبياء السابقين المرسلين من الله[4].

---

(١) انظر:عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم:١٣٢ ط:١ مكتبة المنار– الأردن ١٩٨٥.

(٢) انظر:عودة، م.س:١٣١.

(٣) **Toshihko . Izutsu** , GOD AND MAN IN THE KORAN , Tokyo , Keio Institute of Cultural and Linguistic Studies, 1964.p:168

(٤) انظر حول تصورات الجاهلين عن النبوة والغيب: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب:٣٥٨/٥ وما بعدها ، ط: المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦. وكذلك دراستنا : المجتمع العربي قبل الإسلام: دراسة قرآنية، المنشورة في مجلة التسامح، عدد:٩ شتاء ٢٠٠٥.

معرفتهم هذه وتصورهم لإمكانية الاتصال مع الغيب كانت أصلاً استند إليه القرآن في دعوتهم للإيمان بالنبوة والرسالة، ومن ثَمَّ أخذ كل من المفهومين مجاله الدلالي الخاص الذي قطع مع جميع المفاهيم ذات الصلة والتي كانت سائدة قبل الإسلام لتكون فكرة النبوة والرسالة مؤسسة على التوحيد المحض وبعيدة عن قبليات المجتمع حول العلاقة مع الغيب وما حف بها من أساطير.

إن المعنى اللغوي سيقودنا إلى المعنى الاصطلاحي ولئن كان مصدره قرآنياً بالنسبة للعرب، فإن تحديده التاريخي وفي السياق الكلامي خصوصاً شهد تنوعاً وجدلاً واختلافاً ولم يستند هذا التحديد إلى القرآن بوضوح واستقراء، فسنعرض لهما في المدونات الكلامية.

ثانياً- النبوة والرسالة في اصطلاح علم الكلام:

لقد كان المعنى اللغوي للنبوة والرسالة محتضناً للمعنى الاصطلاحي حتى إن المعنى الاصطلاحي استحوذ على المعنى اللغوي إلى درجة أصبحت إرادة غير المعنى الاصطلاحي تحتاج إلى تقييد[1]، فالنبي لفظ منقول في العرف عن مسماه اللغوي[2]، ومن أجل هذه الهيمنة على المعنى اللغوي حاول اللغويون ترجيح ترك الهمز في اللفظ وجعل النبوة بمعنى الرفعة والشرف وتخصيص اللفظ المهموز بالتنبي الكاذب، رغم أن أصل اشتقاق النبوة والتنبي واحداً، ولعل هذه التفرقة الصارمة بين النبوة والتنبي وليدة العصور التالية لصدر الإسلام حيث وسم أشهر المتنبئين بالكذب، ونزهت شخصية النبي عن التنبي وإن كان مخبراً عن الله عز وجل[3].

هذا التداخل بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي جعل معظم التعاريف للمصطلحين تلجأ إلى تحديد صفات النبي أو الرسول ووظيفة كل منهما وبيان طبيعة النبوة والرسالة من حيث كونها كسباً أو اصطفاء

---

(١) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة: ٥٦٧.

(٢) انظر: العضد الإيجي، المواقف:٣٣٧.

(٣) انظر: سعد زغلول عبد الحميد، الأنبياء والمتنبئون، مجلة عالم الفكر ص: ١٩٨، مجلد:١٢، عدد:٤ – الكويت١٩٨٢، وانظر المراجع المشار إليها آنفاً في قضية همز لفظ النبي.

أو تتعلق بمعيار التفريق بين النبي والرسول[1]، وهذا ما أضفى على التعريفات بعداً إجرائياً يستجيب للتصورات الجزئية المتعلقة بالمفهوم[2]، ومن التعريفات التي لم تخضع لهذه النزعة تعريف النبوة بأنها:"سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم"[3]، ونجد تعريفاً للرسالة شبيهاً بتعريف النبوة وهو:"سفارة العبد بين الله تعالى وبين ذوي الألباب من خليقته ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح داريهم"[4]، وعُرِّف الرسول بأنه:" إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام"[5]. هذه التعريفات النادرة تقابلها

---

(١) انظر مثلاً: الكفوي، الكليات:٤/٣٥٣ .

(٢) وهذا لا ينفي اعتماد اللغة في هذه الاختيارات في تحديد الفرق بين المصطلحين، فمثلاً ترجيح معظم الأشاعرة اشتقاق النبوة من النبأ يعكس بعد الهبة والاصطفاء في النبوة، وترجيح المعتزلة اشتقاق النبوة من النباوة يعكس بعد الكسب والارتقاء من الإنسان لتلقي النبوة (انظر تفصيلاً في هذا المثال: علي مبروك، النبوة:١٧ وما بعدها).

(٣) انظر: الأصفهاني، المفردات:٧٨٩، الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز:١٤/٥، واللفظ فيهما واحد.

(٤) انظر: ميمون بن محمد النسفي، تبصرة الأدلة في أصول الدين:٤٤٥/١ ت: كلود سلامة ط:١ المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية – دمشق ١٩٩٠ .

(٥) انظر: الجرجاني، التعريفات: ١٤٨، وقارن مع القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة:٥٦٧ .

كثرة في التعريفات الإجرائية المختلفة، والتي جاءت في سياق تحديد الفرق بين النبي والرسول.

الفرق بين النبي والرسول :

تكشف المدونة الكلامية عن موقفين أساسيين من الفرق بين النبي والرسول، الأول ينفي الفرق بينهما والثاني يثبته، وقد اختلف أصحاب الموقف الثاني في تحديد معيار هذا الفرق اختلافات كثيرة سيأتي بيانها:

الموقف الأول: نفي الفرق بين النبي والرسول: يذهب أصحاب هذا الموقف إلى أنه لا فرق في الاصطلاح بين النبي والرسول وأنه لا يوجد نبي ليس بمرسل، وهذا رأي معظم المعتزلة[1]، والماوردي[2]، والكمال بن الهمام[3]، وهو المتبادر من كلام الرازي[4].

---

(١) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة:٥٦٧، المغني:١٥/٢٤٤، المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى المعتزلي(ت٨٤٠هـ)، **القلائد في تصحيح العقائد**:١١٣، ط: دار المشرق – بيروت ١٩٨٥.

(٢) انظر: الماوردي، **أعلام النبوة** :٩٣ ت: خالد العك ط:١ دار النفائس – بيروت ١٩٩٤.

(٣) انظر: كمال الدين محمد ابن الهمام، **المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**: ٣٥ ط:١ مطبعة السعادة – مصر ١٣٤٧ هـ.

(٤) يقول الرازي:(النبي في عرف الشرع هو الذي خصه الله بالنبوة والرسالة خصوصاً إذا قرن إليه ذكر الشرع)، **تفسير الرازي**: ٨/١١٨، ٢١/٢١٤، ط:طهران.

هذا ونفي الفرق بين النبي والرسول عند القائلين به ليس نفياً للفرق بين معاني النبوة والرسالة أو قولاً بالترادف بينهما، فالنبوة يستفاد منها الرفعة التي هي جزاء على عمل، ولذا قالوا (المعتزلة) إنها مستحقة دون الرسالة وهو قدر التعظيم والثواب، وليس كذلك الرسالة[1]، كما أن معنى الرسالة لا يدرك إلا بالتعدية: مرسل ـ مرسل إليه[2]، وبالتالي فنفي الفرق بين النبوة والرسالة إنما هو من حيث المسمى بهما لا من حيث معانيهما، فوصف النبوة مرتبط برفعة الرتبة والشرف المكتسب بالعمل، ووصف الرسالة مرتبط بالتكليف الإلهي بالبعث والإرسال[3]، فالنبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه وكذا الرسول فلا فرق، فالنبي رسول والرسول نبي، وكان محمد ﷺ يخاطب بهما[4]، واستدلوا على انتفاء الفرق بين النبي والرسول بأن الكلمتين تثبتان وتزولان معاً في الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام وهذا هو أمارة إثبات كلتي اللفظتين المتفقتين في الفائدة[5].

---

(١) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني: ١٥/١٦.

(٢) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة: ٥١٧.

(٣) هذه وجهة نظر معتزلية فلا تلزم كل من نفى الفرق بين النبي والرسول، وحول ارتباط النبوة بالرسالة عند المعتزلة انظر: علي مبروك، النبوة: ٣٧ وما بعدها.

(٤) انظر: ابن الهمام، المسايرة: ٣٥، الماوردي، أعلام النبوة: ٩٣، تفسير الرازي: ٤٣/٢٣

(٥) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة: ٥٨٦.

والفلاسفة عموماً لا يكادون يفرقون بين مفهوم كلمتي (نبي ورسول) وإن كانت كلمة نبي أكثر وروداً من كلمة رسول عندهم إلا أن ورود أي من الكلمتين في كتاباتهم يقصد بها الأخرى، وكذلك جوهر النبوة هو جوهر الرسالة بعينه عند المتصوفة والتسوية بين ماصدقيهما ملحوظة، مما يرجح عدم التفريق بين الكلمتين إلا عند النص على التخصيص، أما عند الإطلاق فكل من اللفظتين تقوم مقام الأخرى بكل مفهومها[1].

الموقف الثاني: إثبات الفرق بين النبي والرسول: يتجه معظم المتكلمين إلى التفريق بين النبي والرسول مع اختلاف واسع بينهم في معيار الفرق بينهما، لكنهم اتفقوا على نقطة أساسية وهي أن **كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً**[2]، فالرسالة تتضمن النبوة ولا يلزم العكس، وقد عُبِّر عن هذه العلاقة بالعموم والخصوص "فالرسول أخص من النبي لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً"[3]، لكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة

(١) انظر: عبد الفتاح أحمد الفاوي، **النبوة بين الفلسفة والتصوف**:٦، ١١، أطروحة دكتوراه، مقدمة في قسم الفلسفة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ١٩٨٠.

(٢) وقد تحدث البعض عن إجماع على ما ذكر، انظر: آدم عبد الله الألوري، **فلسفة النبوة والرسالة في ضوء القرآن والسنة**:٩٣، ط:١ مكتبة وهبة – القاهرة ١٩٨٣.

(٣) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**:١/١٦٣.

جزء من الرسالة إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة أنفسها أخص من جهة أهلها[1]، وقد استدلوا على وجود الفرق بين النبي والرسول بما يلي:

- اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات[2].
- قوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[الحج:٥٢] فالعطف يقتضي المغايرة بينهما وهو الشائع[3].
- وصف الله بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة كقوله في حق موسى عليه السلام ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[مريم:٥١]، وخص البعض بوصف النبوة كقوله:﴿وَاذْكُرْ فِي

---

(١) انظر: أبو المعز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية:١٥٨، ط:٨ المكتب الإسلامي – بيروت ١٩٨٤.

(٢) انظر: الماوردي، أعلام النبوة:٩٤.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف:١٦٠/٣، ط:١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٥، الألوسي، روح المعاني:١٧٢/١٧، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ابن عاشور، التحرير والتنوير:٢٩٧/١٧، ط: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤، القاسم بن محمد الزيدي العلوي المعتزلي، الأساس في عقائد الأكياس:١٣٧، ت: ألبير نصري نادر ط:١دار الطليعة– بيروت١٩٨٠.

الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[مريم:٥٦] [1].

- روي أنه ﷺ سئل عن الأنبياء فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً [2].

وقد أجاب المعتزلة على الاستدلال بآية الحج بأن مجرد الفصل لا يدل على اختلاف الجنسين" ألا ترى أنه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الأنبياء ثم لا يدل على أن نبينا ليس من الأنبياء، وكذلك فإنه تعالى فصل بين الفاكهة وبين النخل والرمان ولم يدل على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة وكذلك هنا" [3].

---

(١) انظر: عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات:١٤، ط:٥ دار النفائس – عمان ١٩٩٠، عبد المنعم إبراهيم محمد الصبحي، النبوة في العقيدة الإسلامية:٣٠، ط:١ مطبعة الأمانة- مصر ١٩٩٦.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف:١٦٠/٣، الألوسي، روح المعاني: ١٧٢/١٧، وقد ذكر الألوسي جبر ضعف الحديث بالمتابعة، والحديث رواه أحمد والطبراني في الكبير ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف (انظر: علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد:١٥٩/١ ط: دار الريان – القاهرة، ودار التراث العربي- بيروت ١٤٠٧)، وقد ورد عن أبي ذر قال:قلت يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا وقال مرة خمسة عشرة (مسند أحمد:١٧٨/٥ ط:مؤسسة قرطبة- مصر).

(٣) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة:٥٦٨.

معايير التفريق بين النبي والرسول:

سنورد فيما يلي الضوابط التي ذكرها القائلون بالفرق بين النبي والرسول للتفريق بينهما وما أورده كل فريق منهم على الآخر في ضبطه:

1. **التفريق بالتكليف بالتبليغ وعدمه:** هذا الضابط هو أكثر الضوابط شيوعاً لاسيما بين المتأخرين، ومفاده أن النبي هو إنسان من البشر أوحى الله إليه بشرع ولكن لم يكلفه بالتبليغ، والرسول إنسان من البشر أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه[1]. وقد انتقد هذا المعيار بانتقادات عديدة، منها:

- إن المشهور هو أن النبي أعم من الرسول وإذا قوبل العام بالخاص يراد بالعام ما عدا الخاص، فمتى أريد بالنبي ما عدا الرسول كان المراد به من يؤمر بالتبليغ، وحيث تعلق به الإرسال صار مأموراً بالتبليغ فيكون رسولاً فلم يبق في الآية بعد تعلق الإرسال رسول ونبي مقابل له[2].

---

(1) انظر: أبو المعز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية:١٠٨، ابن عطية، المحرر الوجيز:٩/٤٨٤، الصابوني، النبوة والأنبياء:١٤ ط:١ عالم الكتب – بيروت ١٩٨٥، علي عبد الفتاح المغربي، النبوة والأنبياء في الفكر الإسلامي:٦٠٥، ط:٢ مكتبة وهبة – القاهرة ١٩٩٤، عبد المنعم الصبحي، النبوة في العقيدة الإسلامية:٣٢ .

(2) انظر: الألوسي، روح المعاني:١٧/١٧٣، محمود الشرقاوي، الأنبياء في القرآن:٩، ط: دار الشعب –القاهرة ١٩٧٠.

- إن ترك البلاغ كتمان لوحي الله، ولا معنى في نـزول الـوحي ليكـتم ويدفن في صدر النبي[1].
- حكاية القرآن عن بعض أنبياء بني إسرائيل ومهـامهم في الإصـلاح والتوجيه وإقامة منهج التوراة، وهذا تبليغ كلفوا به في بـني إسرائيـل وبالتالي فهو مشترك بين الأنبياء والرسل فلم يعد مخصصاً[2].
- حديث:"عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعـه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد.."[3] فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم[4].

٢. **التفريق بنزول الكتاب مع الوحي وعدمه:**فالرسول هو من أنـزل عليـه

---

(١) انظر: الشرقاوي،م.س، الأشقر، الرسل والرسالات:١٤، محمد شلبي الشتيوي، دفاع عن النبوة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت عـدد:١٤، سـنة:٦، أغسطس ١٩٨٩، ص:٦٤.

(٢) انظر: الشتيوي، م.س:٦٥، عبد الراضي محمد عبد المحسن، النبـوة بـين اليهوديـة والمسيحية والإسلام /دراسة تحليلية مقارنة:٢٨٩ أطروحة دكتوراة ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ١٩٩٥.

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخـاري:٢١٧٠/٥ (٥٤٢٠) ت: مـصطفى البغـا ط: ٣ دار ابن كثير – بيروت ١٩٨٧، ومسلم بن الحجاج، صحيح مسلم:١٩٩/١ (٢٢٠) ت: محمـد فؤاد عبد الباقي ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٤) انظر: الأشقر، الرسل والرسالات:١٥.

كتاب أما النبي فمن أوحي إليه ولم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله[1]، وانتقد هذا الرأي بأن أكثر الرسل لم يكونوا أصحاب كتاب، وقد وصف بعض الأنبياء الذين لم تكن لهم كتب بالرسالة مثل إسماعيل عليه السلام (مريم:٥٤)[2].

٣. **التفريق بنزول شرع جديد مع الوحي:** فالرسول من أوحي إليه بشرع جديد يدعو الناس إليه، والنبي من بعثه الله لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام، وهو رأي الجاحظ[3]، والقاسم والهادي[4]، والبيضاوي[5]، وغيرهم وبعض

---

(١) وهو رأي الزمخشري في الكشاف :٣/١٦٠-١٦١، والتفتازاني في شرح المقاصد:٥/٥-٦ (دون جزم في عبارته)، والألوسي، روح المعاني:١٧/١٧٣، ويلاحظ على الألوسي تردده في الجزم بمعيار للفرق بين النبي والرسول مع الحسم في امتناع التفريق باعتبار التكليف بالتبليغ وعدمه.

(٢) انظر: الشرقاوي، **الأنبياء في القرآن**:١٠، عبد المنعم إبراهيم محمد الصبحي، **النبوة في العقيدة الإسلامية**:٣٣، حسن حنفي، **من العقيدة إلى الثورة** :٤/٢٤ (الحاشية) ط:١ دار التنوير والمركز الثقافي العربي- بيروت ١٩٨٨.

(٣) انظر: الجاحظ، **حجج النبوة**، ضمن رسائل الجاحظ ص:١٨٦، قدم لها : علي أبو ملحم، منشورات: دار ومكتبة الهلال – بيروت ١٩٨٧ .

(٤) انظر: القاسم بن محمد الزيدي العلوي المعتزلي، **الأساس في عقائد الأكياس**:١٣٧ .

(٥) انظر: البيضاوي، **التفسير مع حاشية الكازروني**: ٤/٥٧ ط: مؤسسة شعبان – بيروت، وقد لجأ صاحب الحاشية لتبرير هذا القول بتأويل وصف يونس بأنه من المرسلين على المعنى اللغوي .

المتأخرين[1]، ومنهم من قيده بأن يكون الشرع جديداً بالنسبة للقوم وإن لم يكن جديداً في نفسه[2]، وأضاف البعض شرطاً آخر بأن ينسخ بعض شريعة قبله وإن لم يأت بشرع جديد[3]، وقيده آخرون بأن الرسول يجمع المعجزة والكتاب والشرع الجديد بخلاف النبي[4].

ويلزم على هذه الأقوال عدم اعتبار اسحق ويعقوب وأيوب ويونس وهارون وداود وسليمان ـ عليهم السلام ـ رسلاً لأنهم لم يأتوا بكتاب أو شرع ناسخ[5] وفي حالة داود تلقى كتاباً وأمر بمتابعة شريعة من سبقه[6].

---

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني:١٧/١٧٣، محمد رشيد رضا، تفسير المنار:٩/٢٢٥، ط:٤ دار المنار – مصر ١٩٥٤، مصطفى المراغي، التفسير:١٧/١٢٧، ط:١ البابي الحلبي – مصر ١٩٤٦، ابن عاشور، التحرير والتنوير:١٧/٢٩٧ وقد تناقض ابن عاشور في تحديد الفارق فاعتبره التبليغ تارة (١٦/١٢٧) وأشار إلى ضابط آخر في مكان آخر (٩/١٧) .

(٢) انظر: الألوسي، م.س:١٧/١٧٢-١٧٣ .

(٣) انظر: البغدادي، أصول الدين:١٥٤ .

(٤) انظر: الرازي، التفسير:٢٣/٤٣، التفتازاني، شرح المقاصد:٥/٥ .

(٥) انظر: الرازي، م.س .

(٦) انظر:حسن حنفي، م.س:٤/٢٤، عبد الراضي محمد عبد المحسن، النبوة بين اليهودية والمسيحية والإسلام:٢٨٩ .

٤. **التفريق باعتبار المبعوث إليهم**:فإن كان المبعوث على رأس أمة كان رسولاً وإن كان مبعوثاً ضمن أمة فيها رسول سابق فهو نبي[1]، وهناك فريق آخر يرى أن المبعوث إليهم إن كانوا كفاراً يدعوهم إلى التوحيد فهو رسول، وإن كان مبعوثاً إلى قوم موحدين فهو نبي وهو رأي ابن تيمية[2].

وانتقد هذا الرأي بكون عيسى ابن مريم ﷺ رسولاً قد أرسل إلى قوم مؤمنين[3]، وإذا نظرنا إلى رسل بني إسرائيل فهم ليسوا على رأس أمة وبعثوا في قوم مؤمنين لديهم دين وكتاب.

٥. **التفريق بطريقة الوحي**:فالرسول من يأتيه الملك يقظة ويخاطبه، والنبي من يوحى إليه في المنام أو الرؤى، وهو رأي الرازي[4]، وابن خلدون[5]،

---

(١) وقد نسب هذا الرأي إلى قطرب انظر: الماروردي، **أعلام النبوة**:٩٤، فنسك، **دائرة المعارف الإسلامية**:٩٩/١٠ راجعها مهدي علام، ط: د.ت .

(٢) انظر: ابن تيمية، **النبوات**:١٨٤/١ ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٥، ورجح هذا الرأي محمد شلبي الشتيوي، م.س:٦٦-٦٧ واعتبر بني إسرائيل كفاراً عند إرسال عيسى ﷺ ليستقيم رأيه .

(٣) انظر: عبد الراضي محمد عبد المحسن، **النبوة بين اليهودية والمسيحية والإسلام**:٢٩٠ .

(٤)انظر: الرازي، **التفسير**:٤٣/٢٣ ويلاحظ اضطراب كلام الرازي في غير موضع في تحديد الفارق.

(٥) ابن خلدون، **المقدمة**:١٧٢، ط: دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٦٠ .

وبعض المعتزلة[1]، وهناك من يفرق بأن الرسول من أوحى إليه جبريل خاصة بتنزيل الكتاب من الله والنبي من أوحي إليه بملك أو ألهمه في قلبه أو نُبِّه بالرؤيا[2]، وانتقد هذا الرأي لما يترتب عليه من أن بعض الأنبياء لم يوح إليه إلا مناماً وذلك بعيد ومثله لا يقال بالرأي[3].

إن التأمل في هذه المعايير التي اختلف فيها المتكلمون والانتقادات التي اعترضوا بها على بعضهم يرسم أمام القارئ حيرة اعترت القدامى[4] والمتأخرين[5] بل والمعاصرين من الباحثين الذين هربوا من تحديد معيار الفرق بين النبي والرسول إلى تحليل الآراء أو عرضها ونقد بعضها[6].

---

(١) انظر: التفتازاني، شرح المقاصد:٥/٦، الماوردي، أعلام النبوة:٩٤ .

(٢) انظر: الجرجاني، التعريفات:٣٠٧، ط:١ ت: إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٥ .

(٣) انظر: الألوسي، روح المعاني:١٧/١٧٣ .

(٤) أشرنا إلى تردد الرازي والتفتازاني .

(٥) أشرنا إلى اضطراب الألوسي وابن عاشور.

(٦) انظر مثلاً: محمود الشرقاوي، الأنبياء في القرآن:١٠ وما بعدها، عبد الراضي محمد عبد المحسن، النبوة بين اليهودية والمسيحية والإسلام:٢٩١ (دكتوراه)، علي مبروك، النبوة:٣٠ وما بعدها (في الأصل أطروحة جامعية)، حسن حنفي، من العقيدة إلى

هذه الحيرة بين من بحث في الفرق بين النبي والرسول، ووهن دليل من جزم بالتفريق يرجع إلى عدم استقراء المصدر النصي المؤسس للمفهومين أعني القرآن الكريم، لكن إلى أي حد كان المفهومان متداولين في نصوص أهل الكتاب.

الثورة:٤/٢٢، وقد تابعه أحمد المشرقي في تحليله مع إهمال ضبط الفارق، أحمد المشرقي، الوحي والنبوة في الأديان السماوية (دكتوراه حلقة ثالثة – جامعة الزيتونة ١٩٩٣) .

ثالثاً- النبوة والرسالة في نصوص أهل الكتاب:

لا بد من الكشف عن التداول التاريخي للمصطلحين لمعرفة عمقهما في مختلف الأنساق وإدراك مدى الصلة بين الاستخدام التاريخي والقرآني لهما، وبالعودة إلى النصوص التاريخية نجد" أن لفظة نبي (nabi) لم تستخدم بصورتها على الأقل في نص أقدم من العهد القديم"[١] ، وإذا عدنا إلى اللغات السامية نجد لفظة نبي منتشرة في كثير من اللغات السامية فهي موجودة في العبرية والآرامية والعربية، ويبدو من انتشارها أنها كانت سامية أصيلة[٢] .

النبوة :

الباحث في ماهية النبوة في اليهودية لا يستطيع الوصول إلى مفهوم دقيق أو واضح المعالم لمفهوم النبوة سواء في اللغة أو في العهد القديم أو في الاصطلاح[٣] ، ويعود هذا الغموض إلى ورود أكثر من لفظ للتعبير عن

---

(١) علي مبروك، النبوة:٤٠، فمدونة حمورابي تخلو من لفظة (نبي) رغم اشتمالها على لفظ حكيم وقاض ، وهي أرقى وأفضل نص وصلنا من العصور القديمة (ن.م) .

(٢) انظر:محمد خليفة حسن أحمد، ظاهرة النبوة الإسرائيلية:٢٥، وهذا ما أكده العديد من اللاهوتيين الغربيين مثل: جوستاف هولشر، شميدت، لوذر كلود سوربري .. انظر: بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم:١١/٢ .

(٣) انظر:عبد الراضي محمد عبد المحسن، النبوة بين اليهودية والمسيحية والإسلام:٣٨٨ .

النبي في العهد القديم، والتداخل مع عدد من التسميات التي ظهرت في الحياة الدينية اليهودية مثل رجل الله والرائي..[1]، وكذلك ارتباط لفظ (nabi) بالدور الذي يؤديه النبي وهو دور متطور، وقد أدى هذا الارتباط إلى التصاق اللفظة بطابع وظيفي[2]، كل ذلك جعل النبوة في (الكتاب المقدس) ذات معنى واسع النطاق[3]، وتدور التخمينات في تحديد المعنى اللغوي للفظ حول معاني النبع أو الانفجار أو الإعلان بناء على أن الكلمة مشتقة من العربية، أو النداء على أنها مشتقة من الآشورية، وقد أفضى ذلك الإبهام إلى القول بأن الكلمة دخيلة من اللغة اليونانية وأنها لا تتضمن في العبرية أي معنى مناسب دقيق[4].

---

(١) ا نظر: محمد خليفة حسن أحمد، ظاهرة النبوة الإسرائيلية:٢٨، أحمد المشرقي، م.س:١٦٤ ويرى أن كلمة رائي في اليهودية ترادف كلمة نبي في المفهوم الإسلامي من حيث الاكتفاء بتلقي الوحي أو برؤيته على معنى المبَلَّغ غير المبلِّغ وأن كلمة نبي في اليهودية ترادف كلمة رسول في الإسلام من حيث تلقي الوحي والتكليف بتبليغه إلى الموحى إليهم من الناس (م.س:١٦٧).

(٢) انظر: علي مبروك، م.س:٤٠ .

(٣) انظر: منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية:٣٩٥، ط:١ المؤلف، بيروت ١٩٨٣ .

(٤) انظر: عبد الراضي محمد عبد المحسن، م.س: ٣٨٨ ويعزو إلى (H.Inslgler, Prophetie and propheten literateir) وانظر تفصيلاً: علي مبروك، م.س:٤٥ وما بعدها.

هذا الاضطراب في الأصل اللغوي يلقي بظلاله على المعنى الاصطلاحي الذي تتداخل فيه معان عديدة كمفسري الأحلام والكهنة والعرافين والحارس والراعي..[1]، ونظراً لعدم وجود أصل لغوي لكلمة نبي في العبرية بمعناها الاصطلاحي، ولتطابق مظاهر النبوة مع ملامح ومراسم العبادات المتبعة في الشرق القديم، ولتعارض مظاهر النبوة في العهد القديم، ذهبت مدرسة النقد الحديث إلى أن النبوة ظاهرة غريبة على اليهودية وقد استعارها اليهود من البيئات المجاورة وألبسوها عدداً من شخصياتهم التاريخية[2]، بينما يذهب عباس محمود العقاد إلى أن قبائل العبرانيين تعلمت النبوة الإلهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب ولم تكن لهذه الكلمة عند العبرانيين لفظة تؤديها قبل وفودهم على أرض كنعان ومجاورتهم للعرب المقيمين في أرض مدين، وتاريخ النبوات التي وردت في التوراة سابق لاتخاذ العبريين كلمة النبي بدلاً من كلمة الرائي[3]، فظهر في

---

(١) انظر: محمد رشيد رضا، **الوحي المحمدي**: ٩٧ وما بعدها، ط:٣ مؤسسة عز الدين – بيروت ١٤٠٦ هـ.

(٢) انظر: عبد الراضي محمد عبد المحسن، م.س: ٣٨٨ ويعزو إلى: (Klous.Koch , Die propheten) وينتقد عبد الراضي هذا الرأي بأن التناقض والاضطراب لا يكفي دافعاً لرفض الحقيقة التاريخية لديانة بني إسرائيل كديانة ترتكز جذورها على الوحي والنبوة، وأنه ينبغي الفصل بين اليهودية كديانة والعهد القديم ككتاب لها.

(٣) انظر: عباس محمود العقاد، **حقائق الإسلام وأباطيل خصومه**:٦٣، ط:١ المؤتمر الإسلامي ١٩٥٧.

العرب ملكي صادق في عهد إبراهيم عليه السلام وظهر فيهم بعد ذلك أيوب وشعيب -عليهما السلام- ففهموا أن للنبوة معنى غير معنى الرؤية والعرافة والتنجيم، وأنه ما يتعلمونه من جيرانهم إلى أن أتى موسى الكليم عليه السلام الذي تتلمذ على حميه نبي مدين قبل جهره بدعوته[1].

إن كلمة نبي عربية لفظاً ومعنى لأن المعنى الذي تؤديه لا تحمله كلمة واحدة في اللغات الأخرى فهي تجمع معاني الكشف والوحي والإنباء بالغيب.. وهي معان متفرقة تؤديها في اللغات الحديثة كلمات متعددة، ثم إن اللغة العربية غنية بكلمات العرافة والعيافة والكهانة...وما إليها من الكلمات التي لا تلتبس في اللسان العربي كما تلتبس في الألسنة الأخرى[2].

وبالعودة للعهد القديم لتحديد المعنى المتفق عليه لكلمة نبي نجد أنه شخص مدعو من الله لتوصيل رسالة إلهية إلى قومه، وهذا هو المعنى الذي اعتمدته الترجمة السبعينية حين استخدمت الكلمة اليونانية (Prophetes) للتعبير عن هذا المعنى، والكلمة تعني حرفياً:شخص يتحدث نيابة عن الإله، وهو نفس

---

(١) انظر: العقاد، م.س:٧١ وهذا عكس ما ذهب إليه (سيجال) من أن كلمة نبي عبرية الأصل وأن لفظ نبي إنما كان خاصاً ببني إسرائيل لأنه ليست هناك نقوش تثبت وجودها في اللغة الكنعانية والفينيقية (انظر:بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن :١٠/٢)، ويتعارض كذلك مع ما أورده (هورفيتز) من أن لفظة (نبي) العربية هي التي تمت استعارتها من اللغة العبرية (انظر:علي مبروك، النبوة:٤٨ (الحاشية) .

(٢) انظر:بيومي مهران، م.س:١٢/٢ .

المعنى المعبر عنه لتحديد العلاقة بين موسى وهارون-عليهما السلام- في سفر الخروج (١٧) [١] ،"ويبدو من مجمل الكتاب المقدس العهد القديم أن النبي الحقيقي بحصر المعنى، هو الإنسان الذي يكشف له الله مشيئاته بشكل خاص مهما كانت حاضرة أو مستقبلية ليعرِّفها الآخرين أو ليطلعهم عليها" [٢] ،أما النبوة فهي عبارة عن كلمة أوحاها الله أو عمل خارق أو فوق طبيعي يطلع به الله نبيه على بعض الأضواء أو المعلومات مع الأمر بتبليغها للبشر [٣] .

هذا عن النبوة في العهد القديم أما في اللاهوت اليهودي فإن معناها يحمل بعداً فلسفياً للنبوة، فيعرفها موسى بن ميمون(ت: ٦٠٢ هـ) بأنها:"فيض يفيض من الله ﷻ بواسطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولاً ثم على القوة المتخيلة بعد ذلك" [٤] ، وهو يربط حديثه عن النبوة برأي الفلاسفة المسلمين ويبني رأيه على رأيهم مع إضافة واحتراز [٥] ،

---

(١)انظر:محمد خليفة حسن أحمد، ظاهرة النبوة الإسرائيلية :٣٠، ط: مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ودار الزهراء للنشر – القاهرة ١٩٩١.

(٢) منير خوام، م.س :٣٩٦ .

(٣) انظر:خوام، م.س .

(٤) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين:٤٠٤ ، ت:حسين أتاي ط: جامعة أنقرة – كلية الإلهيات ١٩٧٢.

(٥) انظر: موسى بن ميمون، م.س:٣٩٤ ، والاقتباس من علم الكلام الإسلامي نجده أيضاً عند أسعد بن منصور بن كمونة اليهودي في كتابه: "تنقيح الأبحاث للملل

ويعرفها اسبينوزا بأنها:"المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما، والنبي هو مفسر ما يوحي الله به لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية به ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحده"[1].

هذا عن النبوة في اليهودية نصاً ولاهوتاً أما في المسيحية فنجدها تبنت مع تشكل الأناجيل كامل الإرث الديني والروحي للعهد القديم بما فيه التصور اليهودي لتاريخ النبوة والأنبياء، لذلك نلاحظ ضموراً واضحاً للنبوة في العهد الجديد إلا قليلاً، ونلاحظ أن دور الأنبياء تقلص وبدأت المؤسسات المنظمة تأخذ شيئاً فشيئاً مكان الأنبياء، ولعل الذي شوش هذا التصور للنبوة الموقع الغامض لشخصية المسيح[2]، فلا بد لبناء التصور المسيحي حول النبوة من التفريق بين حياة المسيح ودعوته والجماعة المسيحية الأولى وعقيدتها ودور المسيح فيها، وبين الكنيسة ورؤيتها الجديدة للمسيحية ممثلة في العقيدة والشعائر والسلطة الروحية[3].

الثلاث" عند الحديث عن النبي والرسول، ص:٣، تحقيق:عبد العظيم المطعني ط:٢ دار الأنصار – القاهرة.

(١) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة:١٢٣، ترجمة وتقديم:حسن حنفي، ط: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر١٩٧١

(٢) انظر: أحمد المشرقي، م.س:١٥٣-١٥٤ .

(٣) انظر:عبد الراضي محمد عبد المحسن، النبوة بين اليهودية والمسيحية والإسلام:٣٩٠ .

ويعود الاضطراب في تحديد مفهوم النبوة في المسيحية إلى الوقت الذي ألبس فيه عيسى عليه السلام ثوب الألوهية وخلع عنه رداء النبوة[1]، كل ذلك جعل محاولة الحصول على تعريف للنبوة في المسيحية ضرباً من المحال، حتى إن المقاربة المسيحية لمفهوم النبوة استندت إلى العهد القديم[2]، مما لا يجدي معه إلا طرح تعريف جديد يتناسب والمفهوم المسيحي للظاهرة[3]، فيكون التعريف المناسب لمفهوم النبوة في المسيحية ومراتبها هو: التحدث باسم الروح، فهذا التعريف شامل للظاهرة تنطوي تحت ظلاله جميع عناصرها وهو مستقى من نص لبولس يؤكد فيه تنوع المواهب ووحدة الروح[4].

هذا ما يمكن أن تُعرَّف به النبوة في العهد الجديد، أما إذا أطلق النبي بالمعنى المسيحي فيقصد به المتنبئون الذين يعلن أنهم سبقوا المسيح[5].

---

(١) انظر: م.س:٣٩٥.

(٢) انظر:الأب منير خوام، م.س:٣٩٦.

(٣) انظر:عبد الراضي محمد عبد المحسن، م.س:٣٩٥.

(٤) انظر: م.س، و انظر:رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ١٢ ص: ٢٨٢ من العهد الجديد ط: دار الكتاب المقدس للشرق الأوسط.

(٥) انظر: أحمد المشرقي، م.س:١٦٠.

الرسالة :

يرد معنى الرسالة في العهد القديم في صيغة الفعل (شلَحَ) بالعبرية في إطار الكلام عن الأنبياء الذين في التوراة[1] وقد ورد في:(الخروج:٢/١٢ ،١٣/٤ ، اشعيا:٨/٦ ، ارميا:٧/١ ، الملوك:٢٤/٦-٧)، لكن هذه الاستعمالات لا تحمل دلالة زائدة على معنى النبوة إنما ترد في سياق وظائف الأنبياء، مما يرجح عدم وجود فرق بين النبي والرسول في اليهودية، ففكرة رسول الله مختلفة تماماً عن فكرة الشالوح Shaloh بالعبرية والأبستلس Apostolos بالإغريقية[2] .

بينما يطالعنا العهد الجديد بمفهوم جديد لعمل الرسول، فيعطي لقب رسول لعديد من الشخصيات: للتلاميذ الإثني عشر الذين اختارهم يسوع لتأسيس كنيسته (متى:٢/١٠ ، أعمال:١٤/٢١) ثم لبولس رسول الأمم (روميه:١٣/١١) ويعتاد بولس أن يعطي اللقب نفسه الذي يحمله هو لغيره، ونظراً لهذا التوسع في استخدام مصطلح الرسول ثارت مشكلة في تحديد الصلة التي تربط بين هذه الاستعمالات مما جعل من المتعذر الحصول على تعريف واضح في العهد الجديد لعمل الرسول يناسب جميع

(١) انظر: فنسك، دائرة المعارف الإسلامية:٩٩/١٠ .

(٢) انظر:عبد الرحمن بدوي، الدفاع عن القرآن ضد منتقديه:٩٤ ط:١ مدبولي الصغير– القاهرة.

من أطلق عليهم[1]، وإزاء هذا الغموض لا يهم البحث في مفهوم الرسول طالما أنه يختلف عن النبوة التي ختمت بالمسيح، ولا يشتبه المفهوم بموضوع الأنبياء والرسل في العهد القديم، فالرسل في العهد الجديد ليسوا رسل الله بل هم رسل المسيح أو من هم دونهم.

مفهوم النبوة والرسالة في السياق اليهودي والمسيحي كما هو موجود في نصوصهم المتداولة ولاهوتهم، يؤكد جدة المفهوم الإسلامي للنبوة والرسالة، فهو مفهوم يقطع مع التصور الجاهلي والتصور الديني الكتابي السائد، وهذه القطيعة القرآنية مع السائد في عصر النزول ليست قطيعة مطلقة إنما ترجع بمفهوم النبوة والرسالة إلى صيغته التاريخية غير المحرفة وهذا ما سنلحظه من خلال استقراء لفظي النبوة والرسالة في القرآن الكريم.

---

(١) انظر:معجم اللاهوت الكتابي:٣٧٧-٣٧٨ ط:٢ دار المشرق ١٩٨٨، ومادة رسول في دائرة المعارف الإسلامية:٩٩/١٠.

رابعاً- النبوة والرسالة في القرآن الكريم:

لقد كشفت الدراسة الكلامية عن ثانوية حضور النص القرآني في الجدل الكلامي فلم يستحضر إلا لإثبات رؤية حول الفرق بين النبي والرسول أو نفيها، ولا نجد تأسيساً للمفهومين استناداً إلى سياقاتهما في النص القرآني، وسنحاول فيما يلي تتبع تواترهما في القرآن وفي مختلف الصيغ والموارد المتعلقة بهما لنلاحظ ما يمكن أن تفيده تلك الأماكن في تحديد دلالة النبوة والرسالة.

- النبوة في القرآن الكريم:

وردت مادة (ن ب أ) في القرآن /١٦٠/مرة، نصفها /٨٠/مرة تحمل معنى اصطلاحياً، منها ٢٢ مرة في آيات مكية، ولم يرد لفظ نبي في القرآن بمعنى غير اصطلاحي، وقد توزعت صيغ ورود المصطلح في القرآن على الشكل التالي:النبوة=٥ مرات، النبي=٣٣، نبي=١٢، نبياً=٩، النبيين=١٣، النبيون=٣، الأنبياء=٥.

صيغة النبوة:

وردت خمس مرات ثلاث منها في آيات مكية، وقد اقترنت في جميع الآيات بالكتاب (النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) وزاد في ثلاث منها اقترانها بالحكم، وهي: آية آل عمران:٧٩ وهي غير محددة بنبي من الأنبياء، وآية الأنعام:٨٩

والمعني بها تسعة عشر من الأنبياء سبق ذكرهم في آيات قبلها. وآية **الجاثية:١٦** والمعني بها أنبياء بني إسرائيل، ويقترن مع هذه الآيات فعل الإيتاء (يُؤْتِيَهُ، آتَيْنَاهُمْ، آتَيْنَا)، أما الآيتين الأخريين فالمعني بهما ذرية إبراهيم عليه السلام **[العنكبوت:٢٧]** ومعه ذرية نوح عليه السلام **[الحديد:٢٦]** وتقترن مفردة النبوة فيهما بفعل الجعل﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾.

صيغة النبوة كما وردت في سياقاتها تشير إلى دلالات عديدة:

- **فعلا الإيتاء والجعل** يشيران إلى البعد الإلهي في النبوة فهي شيء يؤتى من الخارج وليست أمراً نفسياً، وهما فعلان يتعديان إلى مفعولين هما شخص النبي والنبوة، مما يؤكد كون النبوة معنى زائداً على تصورات النبي وروحانيته وسموه.
- يلاحظ ترتيب المعنيين بالنبوة في الآيات كما يلي: إبراهيم عليه السلام وذريته أولاً، ومن ثم نوح عليه السلام وذريته، ومن ثم بنو إسرائيل، فمجموعة من الأنبياء ورد ذكرهم وكان ذكر إبراهيم ونوح –عليهما السلام- فيهما محورياً.
- جاءت آية آل عمران في الرد على بعض أهل الكتاب لما نسبوه للأنبياء من أمور ليست من مقتضيات النبوة، فبينت أن من أوتي النبوة ليس من شأنه أن يتجاوز كونه عبداً لله.
- اقتران النبوة بالكتاب في الآيات الخمس، والحكم في ثلاث منها،

يدل على تلازم النبوة مع الكتاب والحكم في حال اقترانها بفعل الإيتاء، وحيث ورد فعل الجعل المتعلق بالذرية لم يذكر الحكم، ففعل الإيتاء يتعلق بمعين ومسمى أو معلوم من الأنبياء، أما فعل الجعل فيتعلق بغير معين ويرتبط بذرية أو قوم..، وعدم جعل الحكم فيما امتن الله به على ذرية الأنبياء مع تلازمه مع الكتاب لمن أوتي النبوة يدل على كون الحكم مرتبطاً بظرف خاص ومن متعلقات الزمان والمكان وأداء البشر، وكأن الحكم ليس من شأن الذرية، والناس يباشرونه بما أوتوا من الكتاب.

صيغة النبي:

وردت صيغة النبي في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة كلها في آيات مدنية غير اثنتين [الأعراف:١٥٧-١٥٨]، وقد دلت سياقاتها جميعاً على أن المعني بها الرسول الخاتم ﷺ، وقد انفرد بهذا العدد من وصف النبوة عن غيره من الأنبياء، فاختصت به صيغة النبي المعرفة بأل، فحيث وردت فالمعهود بها هو محمد ﷺ، وقد لوحظ اقتران هذه الصيغة باسم الإشارة مرة(وَهَذَا النَّبِيُّ)[1]، والنداء في معظمها (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)[2]، وجاء ذكره في بعض

---

(١) آل عمران:٢٠.

(٢)الأنفال:٦٤-٦٥-٧٠، التوبة:٧٣، الأحزاب:١-٢٨-٤٥-٥٩، الممتحنة:١٢، الطلاق:١، التحريم:١-٩.

الآيات في إطار الحديث عما أضيف إليه (نِسَاءَ النَّبِيِّ)[1]، (بُيُوتَ النَّبِيِّ)[2]، (صَوْتِ النَّبِيِّ)[3]، وقد وصف بأنه أمي في الآيتين المكيتين مع وصفه بالرسالة، وقد وردت جميع الآيات بخصوص شخص النبي خطاباً له أو إضافة إليه، ما عدا آية واحدة ورد الخطاب فيها مفرداً للنبي والمقصود بها جماعة المؤمنين عن طريق الالتفات﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١]، وقد بينت مجمل الآيات كون النبي محلاً للإيمان به[4]، ومحلاً لاتباعه[5] أمراً بذلك ووصفاً، ونهت عن إيذاء النبي[6]، وبينت آصرة العلاقة بين النبي والمؤمنين وحقه عليهم[7]، وعناية الله بالنبي وتوبته عليه ورفعته عنده[8].

وقد اشتملت سورة الأحزاب على النصيب الأوفر من هذه الآيات (١٥ من ٣٣)، وفي معظمها كان الحديث عن بيت النبي وأسرته وحياته

---

(١) الأحزاب:٣٠-٣٢ .

(٢) الأحزاب:٥٣ .

(٣) الحجرات:٢ .

(٤) المائدة:٨١، الأعراف:١٥٨

(٥)الأعراف: ١٥٧، الأنفال:٦٤

(٦) التوبة:٦١، الأحزاب:٥٣

(٧) الأحزاب:٦، الأحزاب:٥٦

(٨) التوبة:١١٧، التحريم:٨

الشخصية، ويلاحظ الرازي أن سورة الأحزاب قد تضمنت تأديباً للرسول من ابتدائها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّه(١)﴾ إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع ربه، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ(٢٨)﴾ إشارة على ما ينبغي أن يكون عليه مع أهله، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاك(٤٥)﴾ إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع كافة الخلق[(١)].

هذا ويمكننا أن نسجل من وصف سياقات ورود صيغة النبي في القرآن الدلالات التالية:

- إن وصف النبوة لم يكن شائعاً فيما يخص النبي ﷺ في مكة فلم يرد غير مرتين في الآيات المكية وكان مقترناً بوصف الرسالة، رغم شيوعه بالنسبة لغيره من الأنبياء.
- إن معظم السياقات التي ورد فيها لفظ النبي كانت تتمحور حول قضايا شخصية تتعلق به، فلفظ النبي يتعلق بالمقام الخاص – حسب تعبير الزركشي –، وحيث تعلق بالمقام العام وردت قرينة تدل عليه[(٢)].
- استخدام لفظ النبي للحديث عن شخصيته ﷺ وأموره الخاصة

---

(١) انظر:تفسير الرازي:٢٥/١٨٧ .

(٢) انظر:الزركشي، البرهان في علوم القرآن:٢/٢٢٩-٢٣٠ ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: دار المعرفة –بيروت١٣٩١.

مع العدول عن ذكر اسمه العلم له دلالته الخاصة من حيث تكريس تصور جديد لشخصه وضرورة إيلاء مكانة خاصة له باعتباره نبياً لا كأي شخص آخر، وفي هذا إشارة إلى علة التكليفات الواردة بشأنه فذلك لكونه نبياً وليس لكونه محمداً، وثمة دلالة أخرى تتعلق باختيار لفظ نبي للتشريعات ذات المقام الخاص بشخص النبي بدلاً من لفظ رسول وهي ذات صلة بمعنى النبوة الذي يتمحور حول شخص النبي ولا يتعداه إلى غيره، فمعنى النبوة يتحقق عبر محور واحد: الله ـ متلقي الوحي.

- أل العهد في لفظ النبي المشيرة حصراً إلى النبي الخاتم مع كثرة ورودها في القرآن تحمل دلالة على ختم النبوة فلا نبي غير محمد ﷺ في عصر نزول القرآن.

صيغة نبي:

وردت صيغة نبي اثنتي عشرة مرة في القرآن، وكانت في جميعها مجرورة أو مضافة، وسياقات الآيات فيها تتحدث عن نبي لم يحدده القرآن وكان المعني ببعضها نبياً من أنبياء بني إسرائيل[1]، أما الآيات الأخرى فكانت تتحدث عن مقتضيات مقام النبوة ومواصفات النبي وما

---

(١) البقرة:٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨

ينبغي أن يكون عليه وأتباعه، فتحدثت عن أتباع الأنبياء ومقاتلتهم مع أنبيائهم وصبرهم معهم[1]، كما بينت تلازم صفة الأمانة والتواضع مع صفة النبوة، فالاستحواذ المادي (الغلول) والاستبداد (الإثخان في الأرض) لا يمكن أن يتناسب مع النبوة[2]، وأشارت السياقات إلى ترصد الأعداء لكل نبي وكيدهم له فدعوة كل نبي هي موضع عداء ومكر من قبل شياطين الإنس والجن[3]، ورغم كثرة الأنبياء إلا أن الاستهزاء بهم كان متكرراً مع كل نبي[4]، لكن الله يأخذ مكذبي الأنبياء بالبأساء والضراء ليعودوا إليه[5].

هذه السياقات تحمل بعض الدلالات حول مصطلح النبوة، فالنبي ليس رجلاً موحى إليه من غير علاقة بمبلغين، **فالآيات كلها تتحدث عن علاقة النبي بقومه وتكذيبهم له وصفات النبي فيما يتعلق بالعلاقة معهم...** مما يدل على عدم صحة القول بأن النبي من لم يكلف بالتبليغ، ويؤكد ذلك ما ورد في ثلاث آيات منها تعلق فعل الإرسال بالنبوة، لكن

---

(١) آل عمران:١٤٦

(٢) آل عمران:١٦١، الأنفال:٦٧ .

(٣) الأنعام:١١٢، الحج:٥٢، الفرقان:٣١ .

(٤) الزخرف:٦-٧ .

(٥) الأعراف:٩٤ .

سياقات لفظ نبي وما اقترن بها من أفعال (قاتل- يغل- يثخن- لكل نبي عدوا...) تشير إلى الطابع الشخصي للنبي في الموضوع الذي ورد فيه اللفظ فالمقام الخاص بشخص النبي هو المحور وليس المجموعة، وإن كان الخطاب موجهاً إليهم.

صيغة (نبياً):

وردت صيغة (نبياً) منصوبة تسع مرات في القرآن، وكلها في آيات مكية غير واحدة، وجاءت جميعها وصفاً لأنبياء معروفين، وفي سياق سرد قصصهم وأخبارهم، فيحيي عليه السلام المصدق والسيد والحصور[1]، واسحق عليه السلام الصالح[2]، بشر الله بهما والديهما كأنبياء، ووهب هارون عليه السلام لأخيه موسى عليه السلام نبياً[3]، كما وهب اسحق ويعقوب لإبراهيم-عليهم السلام[4]، وجعل عيسى عليه السلام نبياً في المهد[5]، فيما ورد ذكر إبراهيم عليه السلام الصديق وموسى عليه السلام المخلَص وإسماعيل عليه السلام صادق الوعد وإدريس عليه السلام الصديق على

---

(١) آل عمران:٣٩.

(٢) الصافات:١١٢.

(٣) مريم:٥٣.

(٤) مريم:٤٩.

(٥) مريم:٣٠.

أنهم أنبياء أمر بذكرهم في الكتاب[1] .

وردت معظم الآيات المتضمنة لهذه الصيغة في سورة مريم وبشكل متتال في الحديث عن الأنبياء إلا اسحق عليه السلام فقد ورد ذكره في سورة الصافات ويحيى عليه السلام ورد ذكره في سورة آل عمران المدنية، وهذا التكرار لمصطلح النبوة المحيل على أنبياء سابقين في آيات مكية بينما لم يوصف محمد ﷺ بالنبوة في الآيات المكية غير مرتين وفي كليهما كان مقترناً بالرسالة، يحمل دلالة على منهج القرآن في القطيعة مع المفهوم الجاهلي للنبوة، فتصورهم للأنبياء السابقين كان يتسم بالاحترام والتقدير والإجلال وكان منهج الرسالة الخاتمة يبتدئ تحولاً كونياً في مفهوم النبوة في مرحلتها الخاتمة، فحافظ القرآن على استخدام وصف النبوة المعهود لدى الجاهلين فيما يخص السابقين من الأنبياء، ولم يستخدمه بحق الرسول الخاتم ﷺ في العهد المكي حتى يستقر لديهم منهج الرسالة الجديد فيصبح في العهد المدني النبي المعهود والذي يشار إليه نبياً جديداً يختم النبوات.

صيغ الجمع:

ورد لفظ (نبي) جمعاً في ثلاث صيغ إحدى وعشرين مرة (الأنبياء=٥، النبيون=٣، النبيين=١٢)، وقد تناولت مواضيع مختلفة تتعلق بمجموع

---

(١) مريم: ٤١-٥١-٥٤-٥٦ .

الأنبياء، فأمر بالإيمان بهم ضمن أركان الإيمان ودون تفريق بينهم[1]، رغم تفضيل الله بعضهم على بعض[2]، وبينت الآيات وظيفة الأنبياء كمبشرين ومنذرين[3]، وأكدت وحدة الوحي إليهم[4] والميثاق الذي أخذ عليهم[5] تمهيداً لبعث خاتمهم[6]، وبينت وحدة مصير جميع الأنبياء ومن اتبعهم[7]، وشهادتهم عند القضاء بين الناس بالحق[8].

هذه هي السياقات التي تحدثت فيها الآيات عن النبيين من غير تحديد بأنبياء معينين، لكن وردت آيات أخرى تحدثت عن مجموعة من الأنبياء سبق ذكرهم في آيات سابقة[9]، وخُصَّ بنو إسرائيل بالحديث عن أنبيائهم[10]

---

(١) البقرة:١٣٦- ١٧٧، آل عمران:٨٤.

(٢) الإسراء: ٥٥

(٣) البقرة:٢١٣

(٤) النساء: ١٦٣

(٥) الأحزاب: ٧، آل عمران: ٨١.

(٦) الأحزاب: ٤٠

(٧) النساء:٦٩

(٨) الزمر: ٦٩

(٩) مريم: ٥٨

(١٠) الحديث عن أنبياء بني إسرائيل جاء في آيات مدنية فقط في سور: البقرة – آل عمران – النساء – المائدة.

الذين منَّ الله على بني إسرائيل بكثرتهم[1]، الذين بعثوا ليحكموا بالتوراة[2]، لكن تلك الكثرة لم تنفع بني إسرائيل الذين جحدوا بهم وقتلوا الأنبياء فندد القرآن بفعلتهم غير مرة[3]، على عكس فعلة النصارى الذين بالغوا في تقديس الأنبياء وجعلوهم آلهة في حين أن الأنبياء لم يأمروا بذلك[4].

هذه الآيات التي تحدثت عن الأنبياء بصيغة الجمع تحمل دلالات بخصوص مصطلح النبوة:

- ذكر وظيفة الأنبياء كمبشرين ومنذرين ينفي القول بعدم تكليف الأنبياء بالتبليغ، ويزيد هذا المعنى دلالة الحديث عن أنبياء بني إسرائيل الذين يحكمون بالتوراة وهو نوع من الدعوة والتبليغ.
- جاءت الأفعال الواردة في سياقات الحديث عن الأنبياء تؤكد المقام الخاص بشخص النبي سواء كان الفعل المتعلق بهم من قبل الله (بعث، أوحى، جعل، فضل، أنعم، أخذ) أو متعلقاً بالنبي نفسه (جيء، أوتي، يحكم) أو من قبل البشر (اتخذ، قتل).

---

(١) المائدة:٢٠

(٢) المائدة:٤٤

(٣) قتل بني إسرائيل الأنبياء: البقرة:٦١-٩١، آل عمران:٢١-١١٢-١٨١، النساء:١٥٥

(٤) آل عمران:٨٠

لقد دلت مختلف الصيغ التي وردت بها لفظة النبوة على تمحورها حـول قضايا تتعلق بشخص النبي وتنفي القول بعدم تكليف الأنبياء بـالدعوة والتبليغ، وهذا يرتبط بمفهوم الرسالة.

الرسالة في القرآن الكريم

وردت مادة (ر س ل) في القرآن ٥١٣ مرة منها ٤٣٢ مرة في سياق يحمل معنى اصطلاحياً ٢٠٧ في آيات مكية و ٢٢٥ في آيات مدنية، وسنتناول هذه السياقات من خلال تصنيفها بحسب المقصود في كل، أو الحديث بإطلاق عن الرسل، مع بيان دلالات كل مجموعة يتم تصنيفها.

السياقات غير المحددة برسل أو قوم معينين:

وردت كلمة رسول ومشتقاتها ١٤٩ مرة مطلقة لم يقصد بها نبي معين أو قوم باسمهم، منها ١٠٧ مرات في آيات مكية و ٤٢ في آيات مدنية.

وقد وردت ٣٣ مرة في صيغة الفعل غالبها خطاب من الله (أرسلنا=٢٦)، والصيغ الباقية بصيغة الاسم مفرداً (رسول) أو جمعاً (رسل، رسلاً، رسلنا، رسله، رسلهم، رسلي، مرسلون، مرسلين).

واشتملت سياقات الآيات التي احتوت فعل الإرسال على الحديث عن الرسل السابقين، فنلاحظ ورود عبارة تدل على ذلك (قبلك، من قبلك=١٣ مرة)، شيع الأولين، ضمير الغائب العائد على الأمم السابقة، كما اقترن فعل الإرسال في آيات عديدة (١٩ مرة) بلفظ الرسول أو الرسل كمفعول به لفعل الإرسال الذي ينسبه الله لنفسه (أرسلنا رسلنا، أرسلنا من رسول...).

وقد احتوت مضامين الآيات الغير محددة برسل معينين على معان تدور حول أحوال الرسل ومقتضيات الرسالة من وجوب الطاعة والتبليغ..، وكان سياقها وارداً في جدل القرآن مع المخالفين المنكرين للرسالة والمغالين في صفات الرسل وأحوالهم، فكانت بمثابة دعامة للرسالة الخاتمة ووضع لها في السياق العام للرسالات والرسل التي كانت تترى[1]، وكان أولئك الرسل من البشر يأكلون الطعام ولهم أزواج وذرية[2] يوحى إليهم[3] بلسان من أرسلوا إليهم[4] ويؤيدون بالبينات[5] ويحملون رسالة التوحيد[6] مبشرين ومنذرين[7] ليرفع الله بهم الحجة عن الخلق يوم القيامة[8].

وقد حفلت هذه الآيات بالحديث عن السنن الإلهية في معاملة الله للخلق وعلاقة رسله بأقوامهم[9] وما يتم من صراع بين الحق والباطل

---

(١) المؤمنون:٤٤

(٢) الفرقان:٢٠ ، الرعد:٣٨ .

(٣) النحل:٣٩ .

(٤) إبراهيم:٤ .

(٥) الروم:٤٧، الحديد:٢٥ .

(٦) الأنبياء:٢٥، النحل:٣٩.

(٧) الأنعام:٤٨، الكهف:٥٦ .

(٨) القصص:٥٩ .

(٩) الإسراء:٧٧ .

وما يؤول إليه الأمر بعد ذلك، وتأتي هذه الآيات التي معظمها مكي تدعيماً لموقف الرسالة الخاتمة وما تواجهه من عناد وتكذيب ومحاربة، مما يستدعي من الرسول وأتباعه وعياً بالقوانين والسنن الإلهية التي تحكم هذا الصراع كما عاشه الرسل، ومما اشتركت فيه سياقات الآيات حديثها عن قضايا عامة ترتبط بالعلاقة بين المحاور الثلاثة:الله، الرسول، المرسل إليهم، وما يدور حول طبيعة هذه العلاقة ومصداقيتها وصفاتها وقوانينها، بينما يغيب الجانب الشخصي المتعلق بالحياة الخاصة بالرسول أو الرسل، فالعلاقة مرتبطة بما يتعدى إليه فعل الإرسال.

السياقات المحددة برسل أقوام معينين:

تكرر لفظ الرسالة باشتقاقاته في الحديث عن رسل أقوام معينين ٢٦ مرة منها ٨مرات تخص بني إسرائيل في آيات كلها مدنية، والآيات الأخرى تخص أقواماً آخرين مثل عاد وثمود وقوم نوح وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر وقوم تبَّع وقد ورد ذكرهم في آيات مكية إلا واحدة (التوبة:٧٠)، وقد حفلت الآيات بالحديث عن العناد الذي واجه به هؤلاء الأقوام رسلهم والذي وصفته الآيات بالتكذيب[١] والكفر[٢] والجحد والعصيان[٣] والاستكبار والقتال[٤] .

---

(١) ق:١٤

(٢) فصلت:١٤

(٣) هود:٥٩

(٤) المائدة:٧٠

كما تضمنت الآيات بيان ما أُوتيه الرسل وما جاءوا به أقوامهم من حجج وبينات ودعوة إلى التوحيد[1]، وما قابلهم به قومهم وما نالوه من جزاء، فكانت الآيات بمثابة نموذج من الأمم السابقة للسنة الإلهية في التعامل مع من يعاند رسالته ودعماً للرسول الخاتم في مواجهة معاندي رسالته.

وتتجلى بوضوح في هذه الآيات العلاقة المتعدية في الرسالة، فالحديث عن الرسل هنا يرتبط بشكل أساسي بأقوامهم والدعوة التي جاءوهم بها وموقفهم منها، وتشير الآيات إلى كثرة الرسل المبعوثين إلى الأقوام المذكورين لكن لم تفصل الحديث إلا عن رسول واحد منهم، بينما فصلت الأخبار عن رسل بني إسرائيل وتخصيص قتلهم إياهم بالذكر في غير موضع[2]، وهو ما تكررت الإشارة إليه في سياق الحديث عن أنبياء بني إسرائيل مما يمكن أن يستدل به على وحدة المقصودين وتعدد الوصف تارة بالنبوة وتارة بالرسالة إذ الأوصاف المتعلقة بهم واحدة.

ويلاحظ كثافة حضور الحديث عن الأقوام العربية (عاد وثمود)[3] من بين الآيات التي تحدثت عن الرسل بإجمال وكان ذلك في آيات مكية حيث كان لهؤلاء الأقوام ذكر في أطراف الجزيرة العربية، بينما لم يظهر

---

(١) فصلت:١٤ ، إبراهيم:١٠

(٢) البقرة:٨٧، آل عمران:١٨٣، المائدة:٧٠

(٣) انظر حول عروبتهم: بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن:١/٢٣٩، ٢٦٥ .

الحديث عن رسل أقوام بني إسرائيل إلا في الآيات المدنية.

استعمال لفظ الرسول المتعلق بشخص بعينه من الرسل:

بخلاف الصيغ التي أشرنا إليها فقد وردت الصيغ الأخرى تخص رسلاً معهودين في النص القرآني وصفاً لهم بالرسالة مع ذكرهم أو تعبيراً عنهم بصفة الرسالة بدلالة السياق عليهم، وهم:

وصف محمد ﷺ بالرسالة:

ورد ذكر اسم محمد ﷺ في القرآن أربع مرات ومرة باسمه أحمد، بينما عبر عنه بوصف الرسالة **مائة وتسعين مرة**[1]، توزعت بين آيات مكية (٢٥ مرة) وآيات مدنية (١٦٥ مرة)، وقد اقترن وصف الرسالة باسمه العلم في ثلاث آيات[2] بينما انفرد اسمه في واحدة[3]، وحيث أضيف لفظ الرسول في القرآن إلى الضمير الغائب (رسوله) فاللفظ يحيل على محمد ﷺ وقد تكرر ذلك ٨٤ مرة.

وقد تضمنت سياقات الآيات الحديث عن وظائف الرسول الخاتم وصفات رسالته وأحوال الناس مع دعوته وواجبهم تجاهه، فتكرر وصف

---

(١) يلاحظ الاختلاف في خصوص بعض الآيات مثل قوله: إنه قول رسول كريم.

(٢) آل عمران:١٤٤، الأحزاب:٤٠، الفتح:٢٩ .

(٣) محمد:٢

رسالته بالحق[1] وكونه أرسل بالهدى ودين الحق[2]، وأبرز ما اقترن من أفعال بوصف الرسالة المحيل على محمد ﷺ الأمر بالطاعة الذي تكرر(١٩مرة)[3]، والأمر بإتباعه[4] كأسوة حسنة[5]، ووصف بأنه شاهد وشهيد على الناس[6]، ومبشر ونذير[7]، وأنه جاء يدعو[8]، ويبلغ[9]، ويبين[10]، ويتلو[11]، خاتماً النبيين لتكون رسالته رحمة إلى كافة الناس جميعاً[12]، فجاء رسولاً قد خلت من قبله الرسل في أمة قد خلت من قبلها الأمم وقد بُشّر به من قبل[13].

---

(١) البقرة:١١٩، النساء:١٧٠، فاطر:٢٤.

(٢) التوبة:٣٣، الفتح:٢٨، الصف:٩.

(٣) النساء:٥٩-٦٩-٨٠-١٣٠، آل عمران:٣٢-١٣٢، المائدة:٩٢، الأنفال:١-٢٠-٤٦، التوبة:٧١، النور:٥٢-٥٤-٥٦، الأحزاب:٦٦، محمد:٣٣، الفتح:١٧، التغابن:١٢.

(٤) البقرة:١٤٣، الأعراف:١٥٧.

(٥) الأحزاب:٢١.

(٦) البقرة:١٤٣، الحج:٧٨، الأحزاب:٤٥، الفتح:٢، المزمل:١٥.

(٧) الإسراء:١٠٥، الفرقان:٥٦، الأحزاب:٤٥، سبأ:٣٨، فاطر:٥٤، الفتح:٨.

(٨) آل عمران:١٥٣، الحديد:٨.

(٩) المائدة:٤٧-٩٩، النور:٥٤، العنكبوت:١٨.

(١٠) المائدة:١٩، الزخرف:٢٩، الدخان:١٣.

(١١) البقرة:١٢٩-١٥١، الطلاق:١١، البينة:٢.

(١٢) الأحزاب:٢٠، الأنبياء:١٠٧، سبأ: ٣٨، الأعراف:١٥٧.

(١٣) آل عمران:١٤٤، الرعد:٣٠، الصف:٦.

ويلاحظ في الآيات التطور الهائل في استخدام لفظ الرسول من حيث العدد بين الآيات المكية (٢٥ مرة) والآيات المدنية (١٦٥ مرة)، وسيكون لهذه التسمية في الفترة المدنية شأواً كبيراً فيما يخص محمداً ﷺ[(١)].

وقد تركز الحديث في معظم الآيات عن العلاقة بين الرسول والناس وطبيعة هذه العلاقة ووظيفة كل طرف فيما يتعلق بمضمون الرسالة، ونادراً ما يرد الحديث عن قضية تمس شخص الرسول وحيث وردت فتحمل دلالة حجاجية أو بلاغية كما في قوله: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١]، فإيذاء الرسول مسألة تمس شخصه فذكر وصفه بالنبوة ابتداء ثم عدل عنه إلى وصف الرسالة عند التكرار وذلك أبلغ بعدم تكرار اللفظ، وللدلالة على كون النهي له خصوصية زائدة هنا فالإيذاء لا يخص شخص النبي إذ لا ينفك إيذاؤه كشخص عن إيذائه كرسول.

كل هذه السياقات تحيل إلى معنى أساسي يرتبط بمصطلح الرسالة وهو العلاقة المتعدية بين متلقي الوحي والناس الذين أرسل إليهم.

---

(١) انظر: هشام جعيط، في السيرة النبوية:٧٨ .

وصف موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ بالرسالة:

ورد ذكر موسى ﷺ في القرآن ١٣٦مرة وهارون ﷺ ٢٠ مرة وقد وصف موسى بالرسالة في ثلاث وعشرين آية كلها مكية غير واحدة[1]، فيما وصف هارون بالرسالة خمس مرات ثلاث منها مقترنة بوصف موسى ﷺ[2] ومرتان وصف بالرسالة بمفرده[3]، واقترن وصف موسى بالنبوة والرسالة في الآية الوحيدة التي وصف فيها بالنبوة[4]، وقد جاء الوصف بالرسالة في عديد الآيات بالفعل أرسلنا واقترن الإرسال بالآيات والسلطان المبين[5].

وقد ورد ذكر فرعون باسمه في ثمان من الآيات التي وصف فيها بالرسالة والآيات الأخرى تتحدث عن قوم موسى في إطار القص عنهم، ويلاحظ عدم ذكر بني إسرائيل في تلك الآيات، وإذا لاحظنا أن كل هذه الآيات مكية غير واحدة وأن ذكر رسل بني إسرائيل لم يرد إلا في الآيات المدنية أدركنا علاقة ذلك بصلة أهل مكة أو معرفتهم ببني إسرائيل،

---

(١) الصف:٥

(٢) المؤمنون:٤٥، الشعراء:١٦ ، طه:٤٧ .

(٣) الشعراء:١٣، القصص:٣٤ .

(٤) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم:٥١] .

(٥) هود:٩٦، إبراهيم:٥، المؤمنون:٤٥، غافر:٢٣، الزخرف:٤٦ .

لكن ورد في الآيات الحديث عن قوم موسى[1] وقوم فرعون[2] .

هذه السياقات تؤكد على محاور أساسية في معنى الرسالة وهي العلاقة بين الرسول وقومه ومن أرسل إليهم وتبليغ الرسالة، وهو المعنى الذي سيتكرر في وصف نوح عليه السلام بالرسالة .

وصف نوح عليه السلام بالرسالة :

ورد ذكر نوح عليه السلام باسمه في القرآن ثلاثاً وأربعين مرة، وبينما لم يوصف في القرآن بالنبوة فقد وصف بالرسالة في تسع آيات كلها مكية غير واحدة[3] ، وكلها مقترنة بذكر قومه الذين لم يعرفوا إلا باسمه، وجاء معظمها بصيغة الفعل أرسلنا، ووصفت فيها مهمته بالأمر بعبادة الله والإنذار وتبليغ الرسالات والنصح[4]، وتشير الآيات إلى أن نوحاً عليه السلام ليس المرسل الوحيد إلى قومه[5] .

---

(١) إبراهيم:٥، الصف:٥

(٢) الدخان:١٧ .

(٣) الحديد:٢٦ .

(٤) الأعراف:٩، المؤمنون:٢٣، هود:٢٥، نوح:١، الأعراف:٦٤ .

(٥) الشعراء:١٠٥، الفرقان:٣٧ .

وصف عيسى عليه السلام بالرسالة:

ورد ذكر عيسى عليه السلام باسمه في القرآن خمساً وعشرين مرة، ووصف بالرسالة في سبع آيات كلها مدنية، ووصف بالمسيح في ثلاث منها[(1)]، ونسب فيها إلى أمه مريم وكذلك في آية أخرى من غير وصف المسيح[(2)]، ووصف بأنه مبعوث إلى بني إسرائيل[(3)]، وجاءت معظم الآيات تؤكد كون عيسى عليه السلام بشراً رسولاً قد خلت من قبله الرسل، وقد جاء ذلك في آيات مدنية حيث لم يكن شخص عيسى عليه السلام مثار جدل في مكة.

وصف صالح عليه السلام بالرسالة:

ذكر اسم صالح عليه السلام في القرآن تسع مرات، ووصف بالرسالة سبع مرات في آيات كلها مكية، أربع منها في سورة الأعراف[(4)] في سياق الحديث عن قصته مع قومه ثمود الذين عبر عن صلته بهم بلفظ (أخوهم)[(5)]، وكان يأمر قومه بعبادة الله والتقوى، ولم يوصف بالنبوة، وفي

---

(1) النساء:١٥٧-١٧١، المائدة:٧٥ .

(2) الصف:٦ .

(3) ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران:٤٩].

(4) الأعراف:٧٥-٧٩ .

(5) الشعراء:١٤٣، النمل:٤٥ .

وصفه بالرسالة في آيات مكية ربط للعرب بتاريخ الرسل في أسلافهم.

وصف هود عليه السلام بالرسالة:

ذكر اسم هود ﷺ في القرآن عشرة مرات، ووصف بالرسالة سبع مرات في آيات كلها مكية، وردت في سياق الحديث عن علاقته مع قومه عاد الذين بعث فيهم هود أخاً لهم[1] يبلغهم رسالة الله[2]، ولم يوصف في القرآن بالنبوة، ومجيء ذكره في آيات مكية وهو عربي لقوم عرب – مثل صالح ﷺ- ربط للعرب بتاريخ الرسالات.

وصف شعيب عليه السلام بالرسالة:

ذكر اسم شعيب ﷺ في القرآن إحدى عشرة مرة، ووصف بالرسالة ثلاث مرات في آيات كلها مكية[3]، وقد أمر قومه بالتقوى وبلغهم رسالة الله، ولم يوصف بالنبوة في القرآن.

وصف يونس عليه السلام بالرسالة:

ذكر اسم يونس ﷺ في القرآن أربع مرات، ووصف بالرسالة مرتان

---

(١) الشعراء:١٣٥.

(٢) الأعراف:٦٨، هود:٥٧، الأحقاف:٢٣.

(٣) الأعراف:٨٧-٩٣، الشعراء:١٧٨.

في آيات مكية[1]، ولم يوصف بالنبوة في القرآن.

وصف إبراهيم عليه السلام بالرسالة:

ذكر اسم إبراهيم عليه السلام في القرآن تسعاً وستين مرة، ووصف بالرسالة مرة واحدة في آية مدنية مقترناً بذكر نوح عليه السلام وذريتهما، وقد جاء الوصف بصيغة فعل الإرسال[2].

وصف إسماعيل عليه السلام بالرسالة:

ذكر اسم إسماعيل عليه السلام في القرآن اثنتا عشرة مرة، ووصف بالرسالة مرة واحدة في آية مكية مقترناً بوصف النبوة وهي الآية الوحيدة التي وصف بهما[3].

وصف لوط عليه السلام بالرسالة:

ذكر اسم لوط عليه السلام في القرآن سبعاً وعشرين مرة، ووصف بالرسالة مرة واحدة في آية مكية[4] ولم يوصف بالنبوة ووصف بأمره قومه بالتقوى.

---

(١) الصافات١٣٩- ١٤٧ .

(٢) الحديد:٢٦ .

(٣) مريم:٥٤ .

(٤) الشعراء:١٦٢ .

وصف عليه السلام بالرسالة:

ذكر اسم عليه السلام في القرآن مرتان، ووصف بالرسالة مرة واحدة في آية مكية [الصافات:١٢٣] ولم يوصف بالنبوة.

كل هذه السياقات التي ورد فيها وصف الرسالة لشخص بعينه تدل على تركيزها على علاقة الرسول بمن أرسل إليهم، وهذه العلاقة هي معطى جوهري في تحديد معنى الرسالة، فهي ترتبط بالعلاقة المتعدية بين متلقي الوحي (النبي) وقومه، وهذا ما سيتأكد في الحديث عن السياقات التي اقترن فيها ذكر النبوة والرسالة.

اقتران مصطلحي النبوة والرسالة في سياق واحد

لا يزال السؤال عن الفرق بين النبوة والرسالة لم يحسم جوابه من خلاله الآيات، لذا سنعيد قراءة الآيات التي ورد فيها اللفظان لندقق في دلالاتهما في ضوء ما قدمناه من سياقات كل لفظ مستقلاً عن الآخر، والآيات التي اقترنا فيها هي:

١. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[الأعراف:٩٤].

٢. ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧].

٣. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥١] .

٤. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[مريم:٥٤].

٥. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحج:٥٢].

٦. ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠] .

٧. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥] .
٨. ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾[الزخرف:٦] .

أول ملاحظة يمكن أن نسجلها حول الآيات أن خمساً أو ستاً من الآيات هي مكية[1] مما يعني أن مصطلحي النبوة والرسالة كانا متداولين معاً، بل إن مصطلح الرسالة كان متداولاً في الآيات المكية أضعاف مصطلح النبوة (٢٠٧ مرات مقابل ٢٢ مرة)، فيما احتوت الآيات المدنية على ٥٨ تكراراً للنبوة مقابل ٢٢٥ مرة للرسالة، مما يعني أن **مصطلح الرسالة مركزي في العهدين المكي والمدني وبتساوٍ تقريباً**، بخلاف مصطلح النبوة الذي تطور استعماله فتضاعف عدد مرات الاستعمال واتسع تداوله، فكان في العهد المكي مستعملاً في أغلبه بخصوص أنبياء الأمم السابقة في وقت كان مصطلح الرسالة مستقراً، هذه المعطيات **تنفي احتمال وجود تطور تاريخي بين المكي والمدني في دلالة المصطلحين**، وإن كان الاستعمال سيأخذ سياقات مختلفة فيما يخص النبوة التي ستتمحور حول تأكيد ختم النبوة وانفراد محمد ﷺ بها.

---

(١) يلاحظ الاختلاف في سورة الحج هل هي مدنية أم مكية؟ وبالأخص الآية محل الشاهد (انظر: الشوكاني، فتح القدير:٤٣٤/٣، ط: دار الفكر - بيروت، عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان:١٤٠/١، ط:١ دار الفكر- بيروت ١٩٩٦).

ورد مصطلح الرسالة بصيغة الفعل مشيراً إلى إرسال النبي أربع مرات وفي آية سورة الحج تعلق الإرسال بالنبي والرسول معاً، ولئن كان من الممكن أن يستنبط من دخول فعل الإرسال على النبوة (إرسال النبي) أن النبوة سابقة على الرسالة فإن تعلق فعل الإرسال في هذه الآية بالرسول (إرسال الرسول) ينفي ذلك إذ يستلزم أن يكون الرسول رسولاً قبل أن يرسل إليه، وبالتالي **فدخول فعل الإرسال على النبوة لا يدل على أسبقيتها على الرسالة أو استقلالها عنها.**

أهم ما استند إليه في التفريق بين النبي والرسول هو **العطف في آية سورة الحج**، لكن المعتزلة الذين يقولون بنفي الفرق بينهما أجابوا بأن الفصل لا يدل على اختلاف الجنسين[1]، ولا يلزم من نفي الفرق بين النبي والرسول القول بالترادف بينهما من حيث المعنى، فالرسول لفظ متعد يقتضي مرسلاً ومرسلاً إليه وإذا أطلق صرف إلى المبعوث من قبل الله، أما النبي فإذا اعتبر الاشتقاق من الإنباء ووصف به الرسول فالمراد أنه المخبر من جهة الله وإذا اعتبر الاشتقاق من النَبوة ووصف بها الرسول فالمراد أنه الذي رفع الله درجته[2].

---

(١) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة:٥٦٨.

(٢) انظر: م.س:٥٦٧.

وبتتبع التفاسير لم نجد التفاتاً لدلالة النبوة والرسالة من خلال الآيات، وحيث ذكرت إشارة لذلك كانت استحضاراً لأقوال المتكلمين واختلافهم في الفرق بينهما، ولم يلحظوا حضور أو غياب هذا الفرق في الاستعمال القرآني، وإن كانوا يقرون بإمكان استعمال أحد اللفظين مكان الآخر، وقد وجدت بعض الإشارات إلى دلالة استعمال اللفظين مقترنين، فأشير في آية الأعراف أن وصف محمد ﷺ بالرسول النبي الأمي رد على اليهود الذين بدلوا وصف الرسول وعبروا عنه بالنبي ليصدق على أنبياء بني إسرائيل[1]، وأن تقديم الرسول اهتمام بمعنى الرسالة عند المخاطبين بالقرآن وإلا فمعنى النبوة هو المتقدم[2]، وأن كونه نبياً يدل على كونه رفيع القدر عند الله[3]، كما وجدت إشارة إلى احتمال كون الوصفين استعملا بمعنى لغوي[4]، وحول وصف كل من موسى وإسماعيل -عليهما السلام- بالنبوة والرسالة في سورة مريم لوحظ فيه الإخبار عن النبوة ضمن الرسالة وصراحة بلفظها مع إفهام العلو باشتقاقه من النبوة،

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٣٢/٩.

(٢) انظر:ابن عطية، المحرر الوجيز:١٠١/٦، ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ط:١ قطر ١٩٨٤.

(٣) انظر:تفسير الرازي:٢٠/١٥.

(٤) انظر: رشيد رضا، تفسير المنار:٢٢٥/٩.

وبكون النبأ لا يطلق إلا على الخبر العظيم فصار المراد رسولاً عالياً مقداره ويخبر بالأخبار الجليلة[1].

هذه الإشارات هي محاولة لتعليل بعض الجزئيات ولا تضيف شيئاً في ضبط دلالة النبوة والرسالة، وإذ افتقد هذا الضبط في مظانه في كتب التفسير فهو يدل على كون **اضطراب المتكلمين في ضبط الفرق بين النبي والرسول يشمل المفسرين أيضاً**، وهذا له دلالة في إشكالية المفهومين واعتياصهما إذ تتداخل فيهما عناصر متعددة لغوية وتاريخية ونصية وفلسفية، وتواترهما في القرآن وتعاور استعمالهما يجعل من الصعوبة بمكان ضبط فرق بينهما وهذا ما أعجز المستشرقين[2] ولاحظه الباحثون المتأخرون[3].

- خلاصة:

لئن كان لنا من حصيلة يمكن أن نستخلصها مما سبق وسجلناه حول السياقات القرآنية لاستعمال لفظي النبوة والرسالة وفي ضوء ما مهدناه

---

(١) انظر: برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٢/٢١١ ط:١ مكتبة ابن تيمية- القاهرة ١٩٧٨.

(٢) انظر: فنسك، دائرة المعارف:١٠/٩٩.

(٣) انظر: هشام جعيط، السيرة النبوية:٧٨، Toshihko . Izutsu , GOD AND MAN IN THE KORAN:182.

حول المعنى اللغوي التاريخي والكلامي لهما فإمكاننا أن نلاحظ ما يأتي:

- إن المعنى القرآني للنبوة والرسالة قطع تدريجياً مع المعنى الجاهلي للشخص الذي يباشر العلاقة مع الغيب والمعنى الكتابي المتداول للنبوة والرسالة[1]، وأسس لمفهوم جديد للنبوة والرسالة، هو ختم النبوة والرسالة الخاتمة[2].
- إن الزخم الذي احتله مصطلح النبوة استحوذ على المعنى اللغوي للنبوة وغدا أصلاً له عند الإطلاق، فلم يعد للنبوة ومشتقاتها دلالة غير اصطلاحية.
- إن ما أورده المتكلمون من آراء في الفرق بين النبي والرسول تنقضه الشواهد القرآنية التي أوضحناها، وبالأخص القول بأن النبي غير مكلف بالتبليغ.
- تشير السياقات القرآنية للفظ نبي إلى تمحورها حول المقام الخاص المتعلق بشخص النبي وشؤونه، بينما تشير السياقات المتعلقة بلفظ الرسول إلى تعلقها بعلاقة الرسول مع قومه وموضوع الرسالة والواجب نحوها وسنة الله مع الأقوام حسب موقفهم من الرسل مما

---

(١) انظر: Toshihko (م.س).

(٢) انظر حول جدة مفهوم النبوة: محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام: ١٤٣، ترجمة عباس محمود، ط:٢ لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٦٨.

يشير إلى كون مجال الرسالة هو المقام العام، لكن سياق كليهما يؤكد وجود علاقة بين النبي وقومه والرسول وقومه مع وحدة الواجب والمصير بالنسبة للموقف من النبي أو الرسول.

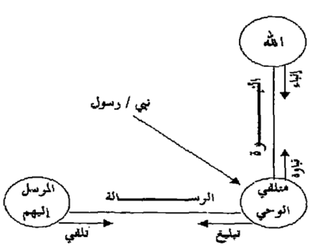
وتأسيساً على ما سبق يمكن القول إن **النبوة هي تعبير عن العلاقة العمودية بين الله ومتلقي الوحي** (الله ـ النبي) فالنبي شخص خاص مختار من قبل الله لتلقي الوحي، **والرسالة تعبير عن العلاقة المتعدية من الله إلى البشر عبر النبي فهي العلاقة الأفقية بين متلقي الوحي ومن أرسل إليهم** (الرسول ـ المرسل إليهم) فالرسول هو الذي يتلقى الوحي ليبلغه للناس، ووظيفة البلاغ مركزية في معنى الرسالة[1].

ومادام الموضوع هو الصلة بين الله والبشر فلا معنى لأي منهما من غير الأخرى، **فالشخص الموحى إليه هو محور التقاء وصفي النبوة والرسالة**، فهو في علاقته مع الله نبي والطابع الشخصي هو الغالب في هذا المحور إذ العلاقة فردية مع الله، والجانب الشخصي في معنى النبوة متحقق في معناها اللغوي أيضاً بأي من الاعتبارين اللغويين لأصل النبوة، فتلقي النبأ عملية فردية والرفعة والسمو شخصية لا دخل للغير فيها، حتى إذا تم تلقي الوحي تحولت العلاقة العمودية مع الله /النبوة إلى

---

(١) انظر: Toshihko . Izutsu , GOD AND MAN IN THE KORAN:179-180

علاقة أفقية مع البشر من خلال وصف الرسالة الذي يتجلى من خلال تبليغ الوحي وتلقيه من قبل الناس الطرف الثاني الذي يتعدى له فعل الإرسال، فإذا انعدم التبليغ والتلقي انعدم وصف الرسالة الذي هو لازم لوصف النبوة ومستلزم له، ويمكن أن نوضح هذه العلاقة من خلال الرسم التوضيحي التالي:



رسم توضيحي لمعنى النبوة والرسالة

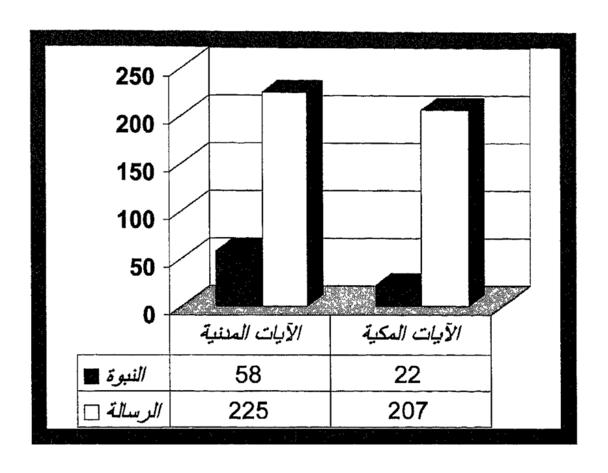
وبهذا التوضيح يمكن اعتبار الاشتقاقين اللغويين في أصل النبوة، وهذا ما يحل الإشكال المعتزلي الأشعري هل النبوة كسب أو اصطفاء مجرد؟، فيكون الأصل اللغوي حلاً، فيسمو النبي فيتأهل للاصطفاء الإلهي بالإنباء بالوحي، نباوة فإنباء، ومن ثم إرسال باعتبار الرسالة مقصد النبوة، فتبليغ من الرسول فتلق من المرسل إليهم، فتكتمل بذلك دورة النبوة والرسالة ويتحقق معناهما في شخص النبي الرسول.

فالنبي والرسول وصفان لـشخص واحـد ولا ينفـصلان، ولـيس ذلـك ترادفاً بين معنى النبوة والرسالة إذ "الشيء الواحد قد يسمى باسـمين على اعتبارين"[1]، ومتلقي الوحي سمي نبياً من حيث العلاقـة العموديـة بينـه وبين الله وسمي رسولاً من حيث العلاقة الأفقية بينه وبين المرسل إليهم.

هذا وتتميماً للفائدة نرفق فيما يلي رسماً وجداول تلخص مـا أوردنـاه من إحصاءات وتصنيفات لورود لفظي النبوة والرسالة في القرآن الكريم.

---

(١) الأصفهاني، تفسير سورة البقرة:٣٤١، ضمن أطروحة أعدها محمد إقبال فرحـات بعنوان: الراغب الأصفهاني ومنهجه في التفسير مع تحقيق تفسير سورة البقـرة، دكتوراه - المعهد الأعلى لأصول الدين – جامعة الزيتونة ١٩٩٨.



رسم بياني يوضح الاستعمال العددي لمفهومي النبوة والرسالة
في الآيات المكية والمدنية

جدول بتكرار مفردة النبوة في القرآن الكريم

المعني بوصف النبوة	الآيات المكية	الآيات المدنية	المجموع
غير محدد بأشخاص ولا أقوام	٨	١٤	٢٢
محدد ببني إسرائيل	-	١٠	١٠
لفظ النبوة	٣	٢	٥
محمد ﷺ	٢	٣١	٣٣
إسحق عليه السلام	٢	-	٢
إبراهيم عليه السلام	١	-	١
إسماعيل عليه السلام	١	-	١
يعقوب عليه السلام	١	-	١
إدريس عليه السلام	١	-	١
موسى عليه السلام	١	-	١
هارون عليه السلام	١	-	١
يحي عليه السلام	-	١	١
عيسى عليه السلام	١	-	١
المجموع	٢٢	٥٨	٨٠

وردت مادة (ن ب أ) في القرآن /١٦٠/مرة

جدول بتكرار مفردة الرسالة في القرآن الكريم

المعني بوصف الرسالة	الآيات المكية	الآيات المدنية	المجموع
غير محدد	١٠٧	٤٢	١٤٩
محدد ببني إسرائيل	–	٨	٨
محدد بأقوام آخرين	١٧	١	١٨
محمد ﷺ	٢٥	١٦٥	١٩٠
موسى عليه السلام	٢٢	١	٢٣
نوح عليه السلام	٩	–	٩
هود عليه السلام	٧	–	٧
صالح عليه السلام	٧	–	٧
عيسى عليه السلام	–	٧	٧
هارون عليه السلام	٥	–	٥
شعيب عليه السلام	٣	–	٣
يونس عليه السلام	٢	–	٢
إبراهيم عليه السلام	–	١	١
إسماعيل عليه السلام	١	–	١
لوط عليه السلام	١	–	١
إلياس عليه السلام	١	–	١
المجموع	٢٠٧	٢٢٥	٤٣٢

وردت مادة (ر س ل) في القرآن ٥١٣ مرة

جدول بتكرار أسماء الرسل الموصوفين بالنبوة أو الرسالة في القرآن الكريم

اسم النبي أو الرسول	تكرار اسمه
موسى عليه السلام	١٣٦
إبراهيم عليه السلام	٦٩
نوح عليه السلام	٤٣
لوط عليه السلام	٢٧
عيسى عليه السلام	٢٥
هارون عليه السلام	٢٠
اسحق عليه السلام	١٧
يعقوب عليه السلام	١٦
إسماعيل عليه السلام	١٢
شعيب عليه السلام	١١
هود عليه السلام	١٠
صالح عليه السلام	٩
يحيي عليه السلام	٥
محمد ﷺ	٤
يونس عليه السلام	٤
إدريس عليه السلام	٢
إلياس عليه السلام	٢

هذه السّلسلة عن "المفهومات القرآنيّة" إثراءً للمعارف القرآنيّة، فتضع مدخلاً منهجيّاً يكشف عن أفق هذا اللّون من الدّرس القرآنيّ، وتجسّد هذا الطّموح بنماذج تطبيقيّة وعمليّة لدراسة المفهومات القرآنيّة كنموذج للتّدبّر في محكم القرآن وتفصيل آياته، والمتجلّي بوضوح في ضبط المفهومات الكلّيّة المعبّر بها عن تكامل المعنى القرآنيّ في أماكن ورودها التفصيليّة، وستكون هذه السّلسلة خطّاً يشتمل على نماذج من الدّراسات المفهوميّة الّتي تنضبط بالمحدّدات المنهجيّة الّتي يرسمها المدخل إلى دراسة هذه المفهومات، والّتي تنمّ عن الآفاق الّتي يرومها هذا اللّون من الدّرس، وهي وإن بدت دراساتٌ متفرّقةٌ في عناوين أجزائها فإنّ الخيط المفهوميّ الجامع بينها سيقود القارئ إلى الوصل بينها وبين المفهومات القرآنيّة الأخرى، وإنّ كلّ مفهوم منها يمثّل وحدةً متكاملةً وعنصراً في حقلٍ مفهوميٍّ أشمل، ولا يدرك معناه في سياق فلكه المفهوميّ ما لم يدرس مستقلّاً أولاً.

وستجعل دراسة هذه المفهومات -كنموذج- قارئ القرآن بعدها يتذوّق معنى
لونٌ من ألوان الإحكام والتّفصيل والتّشابه بين آياته.

وبكلمةٍ يمكن القول .. إنّها مقاربات في التّدبر تبحث عن الّتي هي أقوم.

د.





www.dar-almultaka.net

ISBN 978-9933-9050-8-8




www.arreyada.com